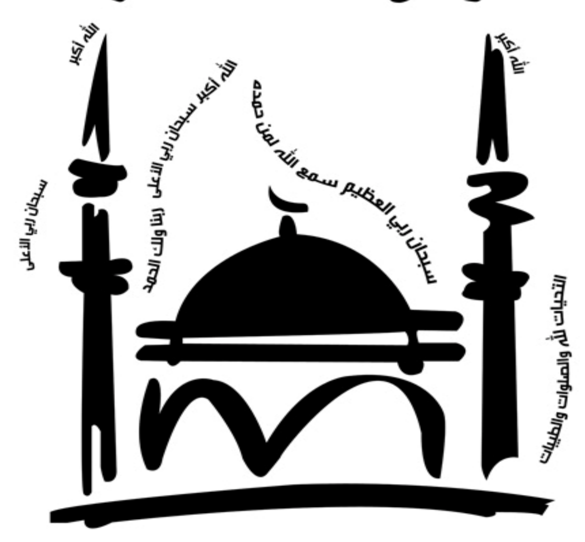
أ و ل م ر ة أ ص ل ي

أول مرة أصلي

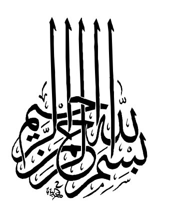
وكان للصلاة طعم آخر



د. خالد أبوشادي

أ و ل م ر ة أ ص ل ي





الطبعة الرابعة للناشر

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

رقـم الإيــداع: ....

الترقيم الدولي: I.S.B.N

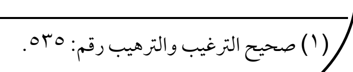
....



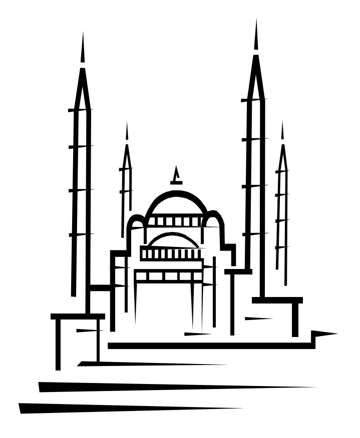
أيكم بطـل هذه القصـة؟!

عن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في ناحية المسجد فصلَّى، ثم جاء فسلَّم عليه فقال له رسول الله ﷺ: **وعليك السلام، ارجع فصلِّ فإنك لم تُصلِّ**، فصلى ثم جاء فسلَّم فقال: **وعليك السلام، ارجع فصلِّ، فإنك لم تُصلِّ**، فصلى ثم جاء فسلَّم فقال: **وعليك السلام، ارجع فصلِّ فإنك لم تُصلِّ**، فقال في الثانية أو في التي تليها: علِّمني يا رسول الله، فقال:

«**إذا قمت إلى الصلاة، فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة، فكبِّر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفع حتى تستوي قائمـًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها**»[1].



(١) صحيح الترغيب والترهيب رقم: ٥٣٥.



مفاتيح الحلاوة

أو سمِّها إن شئت: دليل استخدام الكتاب، وهي أهم صفحة من صفحات الكتاب، لأنها تعلِّمك كيف تحوِّل ما تقرأ إلى واقع حي ونتيجة ملموسة، وهي كما يلي:

١) قلما تجتمع الجودة مع السرعة:

إذا أردت تمام الاستفادة من الكتاب وبالتالي من الصلاة، فأعط الصلاة وقتها، ولا تستعجل في أدائها، ولا تسرِق منها، فإنها تسرق من خشوعك، وتنهب من إيمانك، والصلاة بركة، وكم من معان لطيفة يفهمها المصلي أثناء صلاته ولم تكن قد خطرت بقلبه قبل ذلك، وكل هذا يدعوك إلى التمهل، فتمهَّل.

وليس التمهل أثناء الصلاة وحدها، بل مبكِّرا ومن قبل الصلاة، فأمرك نبيك إذا أردت الصلاة أن تأتيها وقد علتك السكينة لا مهرولا، لئلا تلج صلاتك وأنت مضطرب، تعلو أنفاسك وتهبط ومعها أفكارك، فقال ﷺ:

«**إذا ثُوِّب للصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، وأتوها وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا، فإنَّ أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في صلاة**»[1].

أي أنه في حكم المصلى، لذا ينبغي له اعتياد ما ينبغي للمصلى اعتياده، واجتناب ما ينبغي للمصلي اجتنابه.

(١) صحيح: رواه مسلم عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٤٥٦ ، والتثويب: الإقامة.



٢) التنويـــع أســــــاس:

التكرار أول طريق الملل، والملل هو الذي يقود إلى السهو والغفلة عن معاني الصلاة، والنفس سريعة الملل، فإذا كرَّرت نفس الأذكار التي تحفظها، وتفكَّرت في نفس المعاني كـل مرة ملَلَت الصلاة وهرب منك الخشوع، لذا ستقرأ أذكارًا كثيرة ومنوعة في هذا الكتاب لكل ركن من أركان الصلاة، وليس المطلوب منك أن تردِّدهـا جميعًا في صلاة واحدة، بل تخيَّر لكل صلاة ذكرا، وعش بيـن أنوار هذا الذكر، وتأمَّل معانيه، وعندما تعتاده ويتسلل إليك الشيطان عن طريق السهـو؛ انتقل إلى غيـره.

٣) خــذ الكتــاب بقـــوة:

ليس المطلوب أن تقرأ الكتاب كله بسرعة ودفعة واحدة، بل المقصود أن تقرأ القليـل وتتشـرب معـاني هذا القليـل، ثم تعمـل بهذا القليل فإنـه يوصلك إلى الكثـير بإذن الله.

٤) سرعــة التلبيــة أنفــع:

قم إلى الصلاة متى سمعت النداء، وبكِّر إليها ما استطعت، لتطرد همَّ الدنيا وتغرس بدلاً منه هم الآخرة، وتحظى بثمرة الرزق الروحي للصلاة مكافأة لك على جهدك، ومقابلة للإحسان بالإحسان.

٥) الأماكن البهية والأوقات الذهبية:

لاشك أن القلب يكون أكثر استعدادا وأقرب قبولا وأطهر روحا في الأماكن المقدَّسـة كالمساجـد خاصـة لو كان أمـام الكعبـة أو في الروضـة الشريفـة، وفي الأزمنـة المقدَّسـة مثل رمضان بلياليـه واعتكاف العشر الأواخر



منه، مما يجعل العمل بهذا الكتاب فرصة سانحة وكنزا سهل المنال في ظل تفرُّغ طبيعي للعبادة وفراغ نفسي من كل الهموم الدنيوية وبركة لا تدانيها بركة أي وقت أو مكان آخر.

٦) السرعـــة والبـــطء:

فأطل في الصلاة منفردًا، ولا تطل فيها إن كنت تؤم المصلين إلا إذا علمت أنهم يؤثرون التطويل، وهذا أصوب، وأقرب إلى السنة، وأدنى إلى الإخلاص، وأرجى للمنال. وكثير من معاني هذا الكتاب تجدها في صلاة الفرد وفي النافلة حيث الإطالة كما تشاء والاغتراف من نهر السكينة وحدك، واعلم كذلك أن صلاة الجماعة أول النهار وأنت مشغول في عملك ليست كصلاة آخر النهار حين ترجع إلى البيت وتسنح لك فرصة التبكير إلى المسجد وصلاة السنة والاستعداد للصلاة، وواجبك أن تقتنص من كل صلاة أقصى ما تستطيع من غنائم وثمرات.

٧) حفـــظ الأذكـــــار:

لا بد لك من حِفظ أذكار الصلاة المأثورة عن النبي ﷺ بأنواعها إن أردت ذروة حضور القلب، وقد اخترت لك الصحيح منها دون الضعيف، لتعيش أجواء الصلاة تماما كما عاشها رسولك ﷺ من قبل، وتلهج بنفس ما لهج به، فتقتفي أثره نفَسًا بنفَس، وركعة بركعة، وصلاة بصلاة.

٨) جوف الليـل أخشـع:

لا شك أن جوف الليل أحب للرب، وأقرب من الرحمة، وأبعث على حضور القلب، وأبعد عن الأشغال، وأدنى من الإخلاص، وأدعى لجمع الهم

على الله، فضلاً عن أهم شيء يحدث فيه وهو نزول الرب سبحانه إلى السماء الدنيا ليستقبل كلام من أحبه وناجاه.

٩) حطّـــم يأســـــك:

الخشوع من الإيمان، والإيمان يزيد وينقص، وبالتالي الخشوع يزيد وينقص، يزيد بالاشتغال بالعلم النافع والعمل الصالح، كما ينقص بمرض القلب، ويذهب بموته، وذلك بالانصراف إلى الشبهات والشهوات، فإذا قلَّ خشوعك في وقت من الأوقات فما هي غير جولة وبعدها جولات، وإذا زارك الفتور مرة فالمهارة أن تقصِّر فترة الزيارة، وتتدارك بسرعة بالإقبال على الطاعات لتكمل مشوار اللذة الإيمانية.

١٠) ارفع سقف تطلعاتك:

إذا لم تسع في زيادة خشوعك فسيهاجم الشيطان رصيدك الحالي من الخشوع ليقل، ثم يتضاءل رويدًا رويدًا حتى تفقد حلاوة الصلاة، وتتحول صلاتك إلى عبء ثقيل، ثم تكسل عنها وتؤخِّرها عن وقتها، والحل الذكي: أن تعلو لكي لا تهبط، وتزيد لئلا تنقص، وتتطلع دائمًا إلى مقامات أعلى من حضور القلب وإلا غاب، وأن تكون طموحًا في خشوعك، ولا ترضى بأن تكون عاليا بل تسعى دائما إلى الأخشـع.

١١) بين المـــد والجـــزر:

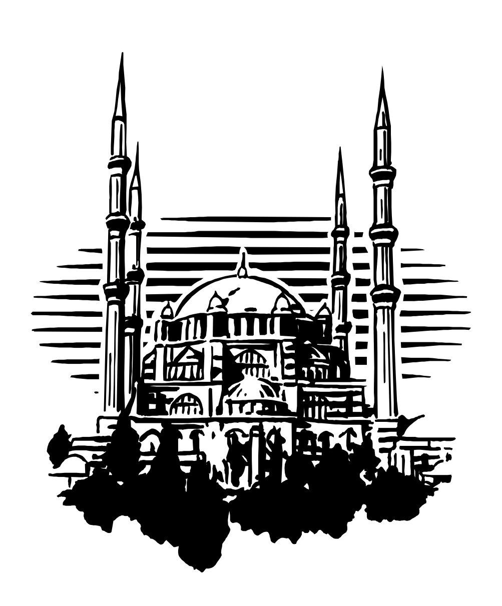
ففي لحظات فتورك لا تُطِل صلاتك وبادر بها سهو الشيطان، لأنك إن أطلت فيها سهوت وغفلت، وفي لحظات المد الروحي والعلو الإيماني وربيع

القلب أطل ما شئت واغرف من معاني الصلاة ما استطعت، وأعطها حظها من السكينة والطمأنينـة.

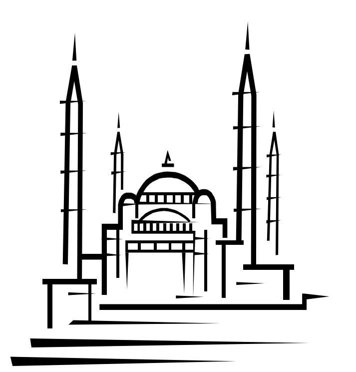
١٢)في الفـراغ والشغـل:

كان أبو **الدرداء** ﷺ يقول: من فقه الرجل أن يبدأ بحاجته قبل دخوله في الصلاة ليدخل في الصلاة وقلبه فارغ.

فاجتهد في تنفيذ هذه الوصية البهية لتنعم بالهدية، ولا تكن مشغولاً بدنياك قبل الصلاة وأثناء الصلاة وبعد الصلاة، وإلا سُرِقت صلاتك من بين يديك، وتسربت كنوزها أمام عينيك.







أول مـــــــرة!!

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعـوذ بالله مـن شـرور أنفسنـا ومـن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هـادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله،

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعـــد:

فقد يسَّر الله لي الاطلاع على هذه الرسالة القيمة **لابن القيم** رحمه الله، وقد رأيتها أول ما رأيتها أثناء تصفحي لإحدى المواقع الإلكترونية[1]، وقد اعتمد

(١) رسالة أسرار الصلاة في موقع صيد الفوائد بعناية أبي عبد الله همام الجزائري.



المعتني بها في إخراجها على ثلاث نُسخ خطية لكتاب السماع **لابن القيم** من بلدان ثلاثة، وهي مصر والعراق والمملكة العربية السعودية، ولم أتوقَّف وقتها عندها كثيرًا، ثم وفَّقني الله لزيارة بيته الحرام معتمرًا، فرأيت الرسالة بعنوان آخر(١)، وقد أشار منتقيها إلى أنه اختارها من كتابين **لابن القيم**:

- **الأول**: كتابه عن مسألة السماع، وقد قال **ابن القيِّم** في آخره: «فهذه إشارة ما ونبذة يسيرة جدًا في ذوق الصلاة».

- **الثاني**: في كتاب **ابن القيم** عن الصلاة وحكم تاركها.

والرسالة مغمورة بين كتب **ابن القيم** الشهيرة، والفائدة منها لا توصف، وقد استفدت منها غاية الاستفادة في صلاتي، وأتاحت لي العمرة التفرغ للغوص في معانيها والتأمل في كنوزها ثم تطبيقها، وكانت هذه الرسالة من رزق العمرة الذي رزقنيه ربي، وأحسست أني لم أكن أصلي قبل هذه الرسالة، وصرت واقفًا أمام الكعبة وكأني أصلي لأول مرة.

ولما رجعت من العمرة اطلعت عليها أكثر من مرة حتى عقدت العزم على نشرها لتعم الفائدة، لكنني تصرفت فيها وعالجتها برؤية مغايرة، وكان عملي في هذه الرسالة كالآتي:

١) الجمع بين الرسائل الثلاث، حتى تخرج هذه الرسالة جامعة لخلاصة الرسائل الثلاث، حيث وجدت اختلافًا كبيرًا بين هذه الرسائل، وفي كل

---

(١) رسالة ذوق الصلاة، انتقاء عادل عبد الشكور الزرقي، ط ٢، دار طويق بالرياض، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

واحدة من الفوائد ما ليس في الأخرى، فجمعت الفوائد المتفرِّقة كلها في رسالـة واحدة، فكانت هذه الرسالة التي بين يديك.

٢) تبسيط لغتها لتناسب عموم الناس، فيسهل فهمها والعمل بها في ظل ما أصاب لغتنا العربية من هجمات جعل من الصعب على الكثير فهم بعض مفرداتها.

٣) الإسهاب في شرح عبارات منها اختصرها **ابن القيم** لكنها ممتلئة، وتحمل بين طياتها معاني غزيرة، لذا رأيت أن أبسط هذه الفوائد، وأشرحها للناس.

٤) أضفت إليها ما يتعلق بالصلاة من كتب **ابن القيم** الأخرى مثل: مدارج السالكين والفوائد وغيرهما، مما أثرى الرسالة وضاعف فوائدها.

٥) الإضافة إليها من عندي، حيث أضفت إليها الكثير من المعاني الروحية للصلاة، وشرحت فيها كثيرًا من أذكار الصلاة التي تصب في نفس هدف الرسالة.

٦) أعدت صياغتها لتكون في صورة الأمر والنهي، وحتى يسهل اتخاذها برنامجًا عمليًا وخطة لإنقاذ خشوعنا الضائع وسط الزحام.

٧) اختصرت منها كثيرًا مما جاء في مقدِّمتها وأواخرها عن فضل الصلاة وعبودية الجوارح، وهو كلام على نفاسته لا يصب في هدفي من التركيز على أركان الصلاة نفسها وأذكارها وحضور القلب فيها، وحذفت كذلك كل ما يتعلَّق بالنواحي الفقهية التي قد تقطع خط استرسال الكلام الروحي العذب.

وهي رسالة أوجِّهها إلى نفسي وإلى الأكثرية الغالبة من المصلين الذين يصلون وسط كثرة فرَّطت في صلاتها فلم تصلِّ بالأصل أو لم تحافظ على



الصلاة، وأقل القليل من هؤلاء المصلين هو الذي يقيم للصلاة ركوعها وسجودها وخشوعها، ويلتذ بها، فإذا رأيت المسجد يغصُّ بالمصلين فاعلم أن مقيمي الصلاة بينهم قلة، ولعلها نبوءة النبي ﷺ حين قال:

«**أول شيء يُرفع من هذه الأمة الخشوع حتى لا ترى فيها خاشعًا**»(١).

والحال وصف به **عمر بن الخطاب** ﷺ أهل زمانه فقال: «الحاج قليل، والركب كثير»، فكيف بأهل زماننا؟! وهو زمان رقَّ فيه الورع وقلَّ الخشوع.

قـــدر الإســـلام عنـــدك

قال الإمام **أحمد بن حنبل**:
«إنما قدرهم من الإسلام على قدر حظهم من الصلاة، ورغبتهم في الإسلام على قدر رغبتهم في الصلاة، فاعرف نفسك يا عبد الله، واحذر أن تلقى الله ولا قدر للإسلام عندك، فإن قدر الإسلام في قلبك كقدر الصلاة في قلبك».

ورجائي في الله كبير أن يغيِّر حالكم أيها القراء بعد القراءة، ويورثكم الخشوع مع قراءة آخر صفحة من هذا الكتاب إن شاء الله، وأن تحسوا بما أحس به نبيكم من قبل من أحاسيس مبهجة ومشاعر مُفرِحة حين قال ﷺ: «**وجُعلت قرة عيني في الصلاة**».

والخشوع مفتاح الاستقامة الكلية وبوابة الهداية لسائر أعضاء الجسد كما أوضح ذلك الإمام **الجنيد** حين قال: «الخشوع تذلُّل القلوب لعلاّم الغيوب،

(١) صحيح: رواه الطبراني عن أبي الدرداء كما في صحيح الجامع رقم: ٢٥٦٩.

والقلب أمير البدن، فإذا خشع القلب، خشع السمع والبصر والوجه وسائر الأعضاء، وما نشأ عنها حتى الكلام».

والخشوع يقظة نفسية دائمة لخلَجَات القلب ولفتاته حتى لا يتفلَّت، وحذرٌ يقظ من هواجسه ووساوسه حتى لا يضل، واحتياط من سهواته وغفَلاته خشية أن يزيغ وتعتريه القساوة أو الموت.

والخشوع من أنفع العلوم وأجلِّها لأنه يوجب خشية القلوب، وقد كان ﷺ يستعيذ من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ودعوة لا تُسمع، فإن القلب الذي لا يخشع: علمه لا ينفع، ودعاؤه لا يسمع.

وهو أوجب للدعاة، فإذا لم يكن الخشوع صفة الدعاة وحالهم اليوم، فإن الخطْب جلل، والمصيبة عظيمة، والإصلاح المرتقب أبعد، وهداية الناس وهم، وبالتالي فذنب هؤلاء المصلحين مضاعف، وجريمتهم أفظع، وكم أصيب الإسلام بأيدي أبنائه كما أصيب بحراب أعدائه.

وكل راعٍ مسئول عن رعيته، لذا كانت مسئولية الآباء والأمهات عن خشوع أبنائهم مضاعفة، ولما رأى **مالك بن دينار** رجلاً يسيء صلاته فقال: ما أرحمني بعياله، فقيل له: يا أبا يحيى.. يسيء هذا صلاته وترحم عياله**!!** قال: إنه كبيرهم ومنه يتعلمون.

الطمع المستحب

لكني أطمع من وراء هذه الرسالة في أكثر من الخشوع بكثير، ويتعدى هدفي من هذه الرسالة الصلاة إلى ما بعد الصلاة، ألا إن هدفي البعيد هو:

- إقبال العبد على ربِّه سبحانه في سائر شئونه، حتى لا يقطع أمرا دونه، وتكميله حقوق عبوديته ظاهرًا وباطنًا على الوجه الذي يرضاه الرب سبحانه.



- غرس بذور التربية الذاتية في القلب، بأن تتعلم أن تخشع دون أن تعبأ بغيرك، ولو كنت الخاشع الوحيد في مسجدك أو جامعتك أو عملك أو قريتك أو مدينتك، فتتربى على أن تستقيم ولو انحرف الكون كله، ويضيء قلبك ولو عمَّ الظلام قلوب من حولك.
- التربية على المسئولية الفردية واستشعار المحاسبة الفردية والتهيؤ للوقوف أمام الله يوم القيامة كما وقفت بين يديه في الصلاة في الدنيا.
- المشاركة في إحياء الأمة ونصرتها عن طريق صلاة الخاشعين وتضرعهم، وما أحوجنا اليوم إلى دعوة صادقة من قلب منيب تخرق أطباق السماء لتمسح ما حل بالمسلمين من ألوان الشقاء.

ليست الصلاة إذن حركات تستغرق ساعة من اليوم أو بعض ساعة ثم ينقضي الأمر وتغور معاني الصلاة في أعماق النسيان، لكنها باختصار حركة تصحيحية وثورة تغييرية تستهدف تعديل مسارك في الحياة وتصحيح وجهتك، وتعيد صياغتك الجديدة على عين الله...

فهل يُدرك الكتاب هدفه القريب والبعيد؟! وهل يُحدِث الدواء أثره فيكم معاشر القرَّاء؟! اللهم آمين.

كتبه
راجي دعائك في صلاتك
د. خالد أبو شادي



لابد أولاً وقبل البدء والاسترسال في القراءة من:

استجـــداء المغفـــــرة!!

اللهـــم إنا نستغفــرك من كـل سهو سهوناه ونحــن بــين يديـــــك
ونستغفـــرك مــن كــل التفـــات إلى غيـــرك ونحـــن في بيتـــك
ونستغفرك من كــل خاطــر دنيوي شَغلنا به ونحــن نتــزود للآخــرة
ونستغفــرك من كـل تعظيــم لغـيرك خالــج صدورنا ونحن في قبضتـك
ونستغفـــرك من كــل عجلة نقرنـــــا بهـــا صلاتنـــا في غفلـــة
ونستغفــرك من كــل شهـــوة خطـــرت ببالنـــا ونحــن نناجيــك
ونستغفـــرك مـــن.. ومـــن.. ومـــن..

وإلى هنـا استحى القلـم مـن تكـرار سـرد جرائمـه في حقـك
لكن حسبي أنني طامـع في سحابـة مغفرة ربانيــة
تُمطـر قلوبنـا المحاصـرة بغبـار الذنــوب، والمُدنَّسة بالغفـلات
والمحشــوة بهمــوم الدنيــا
وكلي أمــل في لمحـة هدايـــة منتظـرة على أحـر مـن الجمــر
لتعيــد إلينــا نــور الفطـرة البهي.. وطهــارة الابتــداء القـوي
فهل ترحــم ضعفــي وتعطف علي وتستجيـب لي
يـا مـــــــــــولاي؟!

والآن.. حان موعدك بعد هذا الاستغفار المبارك مع توجيه:

الضربـــــة القاضيـــــة!!

كم مرة هزمك الشيطان في معركة الصلاة، وكم ألهاك عنها؟! وصــرف ذهنــك بعيدًا عن معانيهــا، ثم ولى مدبــرًا وهو يُقَهقــه فرحــًا بغوايته لك وانتصاره عليك.. أخي.. هل سألت نفسك يومًا هذا السؤال:

كم صـلاة ضاعـت عليـك وأنـت لا تشعـر،

وذهب خشوعها وخضوعها وأنت تبتسم؟!

كم مرة كانت الصلاة عبئًا ثقيــلاً عليـــك،

كلما قمت إليها استقبلتها بالكسل والفتور؟!

هل ذقت يومًا طعم قول حبيبك ﷺ: «وجُعِلت قرة عيني في الصلاة»؟!

لقد ساق الله إليك هذا الكتاب بين يديك، ليكون بمثابة قوة إمداد رباني تنتشلك مما وقعت فيه من آبار الغفلة والشرود عن الله، ورحلة روحية رائعة تلتذ معها بطعم الصلاة، فلتمد يديك إليه في لهفة، ولتتشبَّث بطوق نجاتك في قوة، ولتمر ببصر قلبك على هذه السطور لترتوي روحك ويرتقي إيمانك، وعندها تتذوق طعم الصلاة وتتلذَّذ كما التذَّ بها من سبقك، وتسفك دم عدوك، وترفع راية الظفر منتشيًا فوق أرضه بعد ما ولى مدبرًا وهو ينتحب.

سرّ الصلاة الإقبال

سرُّ الصلاة وروحها ولبُّها هو إقبالك على الله بكل ذرة من كيانك، وكما أنه لا يجوز لك أن تصرف وجهك عن القبلة إلى غيرها، فكذلك لا ينبغي لك أن تصرف قلبك عن ربِّك إلى غيره في الصلاة.

الصلاة صندوق مغلق لا يُفتح إلا بمفتاح الإقبال على الله والإعراض عن ما سواه، ولا يُعطي أسراره إلا لمن جعل همه واحدا ووجهته واحدة، والكوب الممتلئ لا يقبل المزيد إلا إذا فرَّغته مما فيه، وكذلك القلب لا تدخله معاني الصلاة إذا كان محشوا بهموم الدنيا وأعباء الرزق إلا أن تفارقه وقت الصلاة وعندها يدخل النور وينشرح الصدر.

فاجعل الكعبة قبلة وجهك وبدنك، ورب البيت قبلة روحك وقلبك، وعلى حسب إقبالك على الله في صلاتك؛ يكون إقبال الله عليك، زيادة ونقصانًا، وإذا أعرضتَ أعرض الله عنك، وكما تدين تُدان.

ومن الإقبال على الله في الصلاة:

- إقبال العبد على قلبه ليحفظه من أمراض الشهوات والوساوس، والخواطر الدنيوية المُبطلة لثواب صلاته أو المنقصة لها.
- إقباله على الله بتعظيمه ومراقبته، فيعبده عبادة من يراه ويقف بين يديه.
- إقباله على معاني كلام الله وتدبره لأذكار الصلاة ليعطيها حقها من حضور القلب والخشوع.

وباستكمال هذه المراتب الثلاثة يكون العبد قد أقام صلاته حقًا، واستحق أن يُنعم عليه بالدخول إلى ساحة اللذة الإيمانية وأرض المنح الربانية المسماة بالخشوع.





الوضوء

تطهَّر بالوضوء من الأوساخ، وأقدم على ربِّك متطهِّرًا، واعلم أن الوضوء له ظاهر وباطن:

- فظاهره: طهارة البدن، وأعضاء العبادة.
- وباطنه: طهارة القلب من أوساخ الذنوب والمعاصي وأدرانه بالتوبة؛ ولهذا قرن تعالى بين التوبة والطهارة في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ [البقرة:٢٢٢]، وردِّد ما شرع لك النبي ﷺ أن تقوله وأن تردِّده بعد فراغك من وضوئك وهو أن تتشهد بقولك: «**أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله**»، ثم تقول: «**اللهم اجعلني من التوّابين، واجعلني من المتطهرين**»[1].



فكمِّل مراتب العبودية والطهارة، باطنًا وظاهرًا، فإنك بالشهادة تتطهر من الشرك، وبالتوبة تتطهر من الذنوب، وبالماء تتطهر من الأوساخ الظاهرة، فشُرِعت لك أكمل مراتب الطهارة قبل الدخول على الله عز وجل، والوقوف بين يديه، فلما تطهَّرت ظاهرًا، وأتممت بالتوبة والندم طهارتك باطنًا، ولما اكتملت نظافة جسدك وقلبك، أُذِن لك بشرف الدخول على الله والوقوف بين يديه.

(١) قال ﷺ: «**من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين، فُتِحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء**». رواه الترمذي عن عمر كما في ص ج ص رقم: ٦١٦٧.

وليس مجرَّد الإذن فحسب بل وفوقه المكافأة، وذلك إذا اغتنمت فرصة التطهر هذه في الدخول على ربك قبل أن تتدنس، فحافظت على الصلاة عقب كل وضوء، لتحظى بما حظي به **بلال** ﷺ من قبل، فقد سأله النبي ﷺ عند صلاة الفجر: «**يا بلال.. حدِّثني بأرجى عمل عملته في الإسلام، فإني سمعت دف نعليك بين يديَّ في الجنة**». قال: «ما عملتُ عملاً أرجى عندي؛ أني لم أتطهَّر طهورًا في ساعة من ليل ولا نهار إلا ما صليت بذلك الطهور ما كتب الله لي أن أصلي»(١).

والعجيب أنك كلما زرت ملكًا من ملوك الأرض ارتديت أجمل ثيابك وتعطَّرت بأزكى عطورك، والطهارة والنظافة والتزين أولى أن تكون بين يدي ملك الملوك، أليس كذلك؟!

وتأمل كيف جعل الله الوضوء عبادة مستقلة بنفسها حيث رتَّب عليها تكفير الذنوب، والوضوء الخالي من النية وحضور القلب لا يُكفِّر شيئا من الذنوب بالاتفاق، فلا يكون مأمورًا به ولا تصح به الصلاة، ولهذا لم يرد في شيء من بقية شروط الصلاة كإزالة النجاسة وستر العورة ما ورد في الوضوء من الثواب.

وتأمل كذلك رحمة الله أن شرع الوضوء على أكثر الأعضاء مباشرة للمعاصي لتغتسل من الذنوب، وأكثرها بروزًا وتعرُّضا للغبار لتتطهَّر من الوسخ، وهي كذلك أسهل الأعضاء غسلاً فلا يشق على المرء تكرار غسلها في اليوم والليلة، فكانت الحكمة الباهرة في تشريع الوضوء عليها دون سائر الأعضاء.



إشراقة نورانية

كان **علي بن الحسين** إذا توضأ اصفر لونه، فيقولون له: ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء؟! فيقول: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم.

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم وأحمد عن بلال كما في إرواء الغليل رقم: ٤٦٨.





وما بين كل صلاتين تستهدفك ألوان الغفلة والجفوة والقسوة، والإعراض والزَّلات، والخطايا، فيُبعِدك ذلك عن ربك، وينحّيك عن قربه، وتصير بذلك كأنك تمرَّدت على عبوديته، فلم تعُد من جملة رعاياه، وربما ألقيت بيدك إلى عدوك فأسرك، وغلَّ يدك، وقيَّدك، وحبسك في سجن نفسك ودنياك وهواك، وهو معنى الاحتراق في قوله ﷺ:

«تحترقون تحترقون فإذا صليتم الصبح غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم الظهر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العصر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم المغرب غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العشاء غسلتها، ثم تنامون فلا يُكتب عليكم حتى تستيقظوا»[1].

ويصبح حظك على الدوام: ضيق الصدر، ومعالجة الهموم والغموم والأحزان والحسرات، ولا تدري السبب في ذلك، فاقتضت رحمة ربك الرحيم الودود أن دعاك إلى الصلاة خمس مرات في اليوم تتحرر بها من أسر عدوك ساعة من الزمن، بل وربما امتد أثرها إن أديت ما عليك فيها لتتحرَّر إلى الأبد.

العبد في حال غفلته كالهارب من مولاه، فإذا جاء إلى الصلاة كان كالعائد إليه والراجع إلى ملكه، لكن بأي وجه يرجع؟! إنه ليس إلا وجه التذلل والانكسار، ليستدعي عطف سيده وإقباله بعد أن أعرض عنه.

ولهذا كان المجيء إلى المسجد من تمام العبودية الواجبة عند قوم والمستحبة عند آخرين، وكان المشي إليه من أعظم الثواب.

(١) حسن: رواه الطبراني في الصغير والأوسط، كما في صحيح الترغيب والترهيب رقم: ٣٥٧.





واستقبل القبلة بوجهك، واستقبل الله بقلبك، لتنسلخ مما كنت فيه من التولي والإعراض، واصرف نفسك عن كل شيء سوى الله، والوجه يتبع القلب في التوجه، ويأتمر بأمره، ثم قم بين يدي الله مقام المتذلل الخاضع المسكين المستعطف لسيِّده عليه، وارفع يديك للتكبير عاليًا إلى حذو منكبيك بل إلى شحمة أذنيك على هيئة المستسلم، وكما ألقيت بظاهر كفيك إلى ما استدبرت من الدنيا فألقها من قلبك هذه الساعة، وكما استقبلت بباطنها الكعبة فأقبل بقلبك على رب الكعبة، وكن عندها ناكس الرأس، خاشع القلب مُطرق الطرف، وإياك أن تلتفت بعينك في الصلاة، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت، ولا يزال الله مقبلاً على عبده ما دام العبد مقبلاً على صلاته فإذا التفت بقلبه أو بصره أعرض الله تعالى عنه، وإنما هي سرقة الشيطان من إيمانك وأنت لا تشعر كما حذَّرك حبيبك ﷺ من الالتفات في الصلاة فقال: «**هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد**»[(١)].

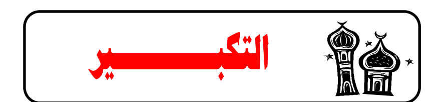
ومن باب أولى أن لا يلتفت قلبك عن الله، لا يمنة ولا يسرة، فغمِّض عين قلبك عن الالتفات إلى سواه، واحرس سريرتك أن تتطلع إلى غيره، خاشعًا له قد توجهت بقلبك كلِّه إليه، وإلا وجبت عليك العقوبة وإن صليت، ونزل البلاء وإن ناجيت. قال **الحسن**: «كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع».

(١) صحيح: رواه أحمد والبخاري والنسائي عن عائشة رضي الله عنها، كما في ص ج ص رقم: ٧٠٤٧.



أيها الساهون في صلاتكم.. أيها التائهون عن أجمل لحظات قلوبكم وأشهى وجبات أرواحكم .. يا غارقون في سكر الشهوة وخمر الغفلة، نصيحتي لكم: ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣].

وتأمَّل حالك أيها المخلوق إذا أقبلت على مخلوق مثلك وبينك وبينه حجاب، هل يُسمَّى هذا إقبالاً؟! فما الظن بالخالق جل وعلا؟! فإذا أقبلت على الخالق سبحانه وبينك وبينه حجاب الشهوات والوساوس والنفس مشغوفة بغيره، فبالله هل يُسمَّى ذلك إقبالاً عليه والتفاتًا إليه؟!



ثم كبِّر الله لتملأ قلبك من التعظيم والإجلال، والمصلون مع التكبير فريقان: السابق بالخيرات وهو الذي امتلأ بالتكبير قلبه حتى فاض على لسانه، فاللسان ترجمان القلب عند هؤلاء، أما الفريق الثاني فهو المقتصد وهو الذي يبدأ التكبير بلسانه، ويجاهد نفسه ويدافعها، ثم يجاهد نفسه ويدافعها حتى يُخرِج من قلبه أي دنيا ملهية وشهوة مسيطرة ليواطئ قلبه لسانه، فهو في جهاد ومجاهدة، ومشقة ومكابدة.

وأول آفة يخلِّصك منها التكبير هي آفة الكذب، فبالتكبير الصادق تُعلِن أن الله أكبر في قلبك من كلِّ شيء، فاحذر وأنت تكبِّر أن يكون شيء في قلبك أكبر عندك من الله فتُكتب عند الله من الكذابين.

وإن كان هواك أغلب عليك من أمر الله عز وجل فقد اتخذته إلهك، وكبَّرته ولم تكبِّر الله، وحوَّلت قولك: الله أكبر.. إلى حروف مجرَّدة باللسان، وقد تخلَّف القلب عن معناه.



والآفة الثانية التي يطهِّرك منها التكبير هي التكبُّر المنافي للعبودية، والتكبر هو أن ترى نفسك خيرًا من غيرك، أو ترى أن عندك ما ليس عند غيرك، لكن لماذا التأكيد على نفي الكبر بالذات دون سائر الآفات عند الدخول في الصلاة؟!

والجواب: لأن الكبر هو أكبر مانع من الانتفاع بآيات الله التي ستقرؤها في صلاتك من كتاب الله كما قال تعالى: ﴿ **سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ** ﴾ [الأعراف:١٤٦]، لذا شُرِع لك أن تكرِّر تناول هذه الجرعة الشافية في الصلاة مرات ومرات ليحدث الشفاء، ولتظل تذكر هذا المعنى كلما نسيت حتى تخرج من الصلاة مرتديًا ثياب التواضع.



لأول مرة: يخرج التكبير من قلبي حقًا، وأستشعر معناه، وأنطق به في قوة، متخِذًا منه صرخة تحذير وجرس تنبيه ينتشلني من أعماق الغفلة إن زارتني، وآبار النسيان إن سهوت عن معاني الصلاة.



عبودية الاستفتاح

واقرأ دعاء الاستفتاح قائلاً: «**سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك**»[1]، تُثني بذلك على الملك الذي وقفت بين يديه بما

(١) صحيح كما في السلسلة الصحيحة رقم: ٢٥٩٨، والحديث بتمامه: «**إن أحب الكلام إلى الله أن يقول العبد: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك، وإن أبغض الكلام إلى الله أن يقول الرجل للرجل: اتق الله فيقول: عليك بنفسك**»، وقد ذهب الإمام أحمد بن حنبل إلى==

هو أهله، لتطرد بذلك الغفلة من قلبك وتنأى بنفسك أن تكون من أهلها، ولا أشد من الغفلة حجابًا بينك وبين ربك.

«**سبحانك اللهم وبحمدك**» أي أنزِّهك تنزيها مقترنا بحمدك.

«**وتبارك اسمك**» أي تعاظمت ذاتك وكثرت بركة اسمك، وكيف لا وكل خير هو من ذكر اسمك.

«**وتعالى جدك**» من العلو، والجَدُّ: العظمة، والمعنى: ارتفعت عظمتك على عظمة غيرك غاية العلو فوق ما يطيقه عقل بشر أو يتصوَّره خيال، فأكثر الخلق غافلون ما عرفوك حق معرفتك ولا عظَّموك حق عظمتك أو عبدوك حق العبادة.

وألقِ بهذه التحية والثناء الذي يُخاطب به الملك عند الدخول عليه تعظيمًا له وتمهيدًا ومقدمة بين يدي سؤال حاجتك، مما يستجلب إقبال الله عليك، ورضاه عنك، وإسعافه لك بقضاء حوائجك.

أو ادخل من باب المذنبين المرتدين ثوب الاعتراف عساه يرحمك بقولك:

«**اللهم باعد بيني وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقِّني من الخطايا كما يُنقَّى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد**»[(١)].

وهو مدخل هام هام هام تستفتح به صلاتك!! وعلامة فارقة وعهد جديد في تاريخ توبتك، يتجاوز حدود اللسان إلى الجوارح والأركان لتقدِّم من بعد هذه الصلاة البرهان على جديتك في إعلان توبتك، وكأنه كذلك لابد لك من تنظيف فناء قلبك أولا قبل استقبال الزائر المرتقب من آي الذكر وأذكار

== أفضلية هذا الدعاء على غيره من أدعية الاستفتاح الأخرى من عشرة أوجه كما أشار إلى ذلك ابن القيم في كتابه زاد المعاد ١/ ١٩٤.

(١) صحيح: رواه الشيخان عن أبي هريرة كما في اللؤلؤ والمرجان رقم: ٣٤٩.

الصلاة، ومعلوم أن الثوب الوسخ لا يُجدي معه البخور، بل لا بد أن يُغسل قبـل أن يعطَّـر.

ومن وظائف استفتاح المغفرة أيضا أنه يضع معدَّلا يوميًا للتوبة لا تهبط عنه، فيذكِّرك بتجديد توبتك على الأقل كل يوم خمس مرات، ولا مكان أنسب لك من المحراب، ولا مقام أرجى للعفو من مقام الصلاة.

أو امزج بين الدعـائين: دعـاء التعظيـم ودعـاء المغفـرة في دعـاء واحـد نافـع جامـع:

«وجَّهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا مسلمًا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له، وبذلك أُمِرت، وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملك، لا إله لي إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعًا، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك»(١).



الاستعـــــــاذة

فإذا شـرعت في القـراءة فقـدِّم أمامهـا الاستعـاذة بالله مـن الشيطـان الرجيـم، فإن الصلاة معركة الشيطان، وما من مقـام أعظم ولا أغيـظ ولا أشـد

(١) صحيح: رواه أبو داود والترمذي عن علي كما في صحيح أبي داود رقم: ٦٨٨، وصحيح الترمذي رقـم: ٢٧٢١.



على الشيطان من هذا المقـام، وهو حريص على هزيمتك فيها لتبوء بالخذلان في مقـام من أشرف مقامـات العبـد وأنفعهـا لـه في دنيـاه وأخـراه، لـذا يشحـذ العـدو قـواه الكامنـة ويُشهِـر أسلحتـه الفتاكـة ويتحفَّـز ويتأهـب لكي يصرفـك عن الصـلاة بالكليـة فلا تصلي، فإن عجـز عن ذلك سـرق قلبـك منـك وألهـاه، وألقى فيـه الوسـاوس ليشغـلك عـن القيـام بحـق العبوديـة حتى وأنـت بـين يـدي ربـــك.

فأمرك الله بالاستعاذة به من الشيطان أي الاستعانة به عليه والاحتماء واللجوء إليه؛ رحمة بك وحرصًا عليك وحبًا لك، ويستنير بما يتدبره من كلام الله الذي هو سبب حياة القلب، وسر نعيمه في الدنيا والآخرة.

وعندها فحسب يستطيع القلب أن يُفضي إلى معاني القرآن، ويشاهد عجائبه التي تبهر العقول، ويستخرج من كنوزه وذخائره ما لا يخطر على بال، وعندها تفهم مقصود التلاوة وتعمل بما جاء فيها، وقد كان الحائل بينك وبين ذلك أعدى أعدائك: الشيطان، فإذا بَعُدَ عنك وطُرد أقبل عليك الملَك، وبثَّ فيك معاني الخير والهداية.

ولما علم الله حَسَد إبليس لك وتفرّغه لمقاتلتك، وعلم كذلك عجزك عن خوض المعركة وحدك، أمرك أن تستعيذ به، وكفى بالاستعـاذة سلاحًا في معركـة كهذه، وكأنه قال لك: لا طاقـة لك بهذا العدو، فاستعذ بي لأعيذك منه، واستجر بي أجِرك، وأكفِك إياه بـرحمتي.

ولذا كان مما قال شيخ الإسلام **ابن تيمية** لتلميذه **ابن القيم** يومًا:

«إذا هاش عليك كلب الغنم فلا تشتغل بمحاربته ومدافعته، وعليك بالراعي فاستغث به فهو يصرف عنك الكلب، ويكفيكه».





تفاعلية القراءة

استشعر أنك في مقام مخاطبة ومناجاة الربِّ جل وعلا، فالحذر كل الحذر من التعرّض لمقته وسخطه بأن تناجيه وقلبك معرِض أو مشغول عنه، ملتفت إلى غيره، فإنك بذلك تدعوه لمقتك، وتكون بمنزلة رجل قرَّبه ملك من ملوك الدنيا، وأقامه بين يديه فجعل يخاطب الملك، وقد أعطاه قفاه، أو التفت عنه بوجهه يَمنَة ويسرة، فهو لا يفهم ما يقول الملك، فما الظن بمقت الملك لهذا؟! بل وما الظن بمقت رب العالمين وقيوم السماوات والأرضين لمثل هذا العبد!! ثم ابدأ في القراءة...

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

ويكفي من فضلها أن الله سبحانه وتعالى قد افتتح بها كتابه الكريم، وأنه أمر بافتتاح كثير من العبادات بها، بل والمباحات كذلك من أكل وشرب وجماع ونحوها.

واروِ عطشك من الفاتحة، واطلب شفاء قلبك وبل جسدك أيضا بها[1]، استشعر جلالها، وأنها أعظم سور القرآن، وكيف لا وقد قال النبي ﷺ: «**أفضل القرآن**: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾»[2].

---

(١) قال **ابن القيم**: «ولو أحسن العبد التداوي بالفاتحة لرأى لها تأثيرا عجيبًا في الشفاء، ومكثت بمكة مدة تعتريني أدواء ولا أجد طبيبًا ولا دواء، فكنت أعالج نفسي بالفاتحة، فأرى لها تأثيرًا عجيبًا، فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألمًا، وكان كثير منهم يبرأ سريعًا». الداء والدواء، ص ٥.

(٢) صحيح: رواه الحاكم والبيهقي عن أنس كما في صحيح الجامع رقم: ١١٢٥. قال **أبو حامد الغزالي**: «وإنما قال في الفاتحة أفضل وفي آية الكرسي سيدة؛ لأن الجامع بين فنون الفضل وأنواعه ==



وتذكَّر أنك تردِّد هذه السورة القصيرة – ذات الآيات السبع – سبع عشرة مرة كل يوم وليلة على الحد الأدنى؛ وأكثر من ضعف ذلك إذا صليت السنن؛ وأكثر وأكثر إذا رغبت أن تقف بين يدي ربك متنفلا غير الفرائض والسنن، ولابد من حكمة – سنحاول استكشافها – لاختيارها للتكرار كل ركعة، بحيث لا تقوم صلاة بغير هذه السورة، وتبطل كل صلاة لا تذكر فيها لما ورد في الصحيحين عن رسول الله ﷺ: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**».

وتأمَّل أنها هي السورة الوحيدة التي يجيبك الله فيها بنفسه بعد كل آية من آياتها، لذا قف عند رأس كل آية وقفة يسيرة، وانتظر أن تسمع بأُذني قلبك جواب ربِّك، لتسمعه – كما ورد في الحديث – يقول الله: «**حمدني عبدي**» إذا قلت:

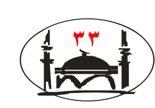
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

لكن ما هو الحمد؟! وما الفارق بينه وبين الشكر؟! والفارق بينه وبين المدح؟!

والجواب: الحمد أَعَمُّ من الشكر؛ فالحمدُ والشُّكرُ يشتركان في مَعنَى الثناءِ على الله؛ وإنْ كان الحمدُ يَشملُ الشُّكر على النِّعَمِ، لكنه فوق ذلك يحمل معنى الثناءَ الحسنَ على الله بما هو أهلُه لصفاته الجميلَة وأسمائه الحسنى الجليلة، فالحمد أعَمُّ من الشكر لأنَّك تحمَد على الصِفات الذَّاتيَّة والعطاء، لكنك لا تَشْكُر إلا على العطاء.

== يسمى أفضل، إذ الفضل الزيادة، والأفضل هو الأزيد، والسؤدد رسوخ في معنى الشرف الذي يقتضي الاستتباع ويأبى التبعية، والفاتحة تتضمن التنبيه على معان كثيرة ومعارف مختلفة فكانت أفضل، وآية الكرسي تشتمل على المعرفة العظمى المتنوعة التي يتبعها سائر المعارف، فاسم السيادة بها أليق». فيض القدير ٢/ ٤٦.





وأما الفارق بين الحمد والمدح، فاعلم أن الإخبار عن محاسن الغير إما أن يكون إخبارا مجردا من الحبِّ والإرادة، أو مقرونا بحبِّه وإرادته، فإن كان الأول فهو المدح، وإن كان الثاني فهو الحمد.

واعلم أن «**الحمد لله تملأ الميزان**»[١]، وأن «**أفضل الدعاء: الحمد لله**»[٢]، وأنه « **ما أنعم الله على عبد نعمة فحمد الله عليها إلا كان ذلك الحمد أفضل من تلك النعمة** »[٣].

وهذا كله في فضل الحمد خارج الصلاة بكيف بثوابه في الصلاة؟!

لأنك ترجو تثقيل ميزانك يوم حسابك لذا تنشد كمال الحمد، ومن كمال الحمد: أن تعلم أن حمدك لربك نعمة مِنه عليك، يستحق عليها الحمد، فإذا حمدته عليها استحقَّ على حمده حمدًا آخر، وهلمَّ جرا، ولذا فالعبد ولو استنفد أنفاسه كلّها في حمد نعمة واحدة من نعم الله عليه، كان عليه من الحمد عليها فوق ذلك، وأضعاف أضعافه. قال **الأوزاعي**: سمعت بعضهم ينشد في حمامٍ:

لك الحمدُ إمّا على نعمةٍ   وإمَّا على نقمة تُدفع



لكن في مقابل تكرار حمدك يأتي تكرار ثوابك ومضاعفته كما بشَّرك بهذا **سفيان الثوري** حين قال: «ليس شيء أقطع لظهر إبليس من قول لا إله إلا الله، ولا شيء يُضاعف ثوابه من الكلام مثل الحمد لله».

واشهد عجزك عن الحمد، فالرب سبحانه هو الذي ألهمك ذلك، ولولا الصلاة التي افترضها عليك لنسيت حمده ولم تذكره، فهو الحامدُ لنفسه في الحقيقة على لسان عبده، وهو الذي أجراه على لسانك وقلبك.

---

(١) صحيح: رواه أحمد والنسائي وابن ماجة عن أبي مالك الأشعري كما في صحيح الجامع رقم: ٩٢٥.
(٢) حسن: رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة عن جابر كما في صحيح الجامع رقم: ١١٠٤، لأن الحمد أعم من الشكر، والشكر طريق المزيد، لذا كان الحمد أفضل الدعاء.
(٣) حسن: رواه الطبراني عن أبي أمامة كما في صحيح الجامع رقم: ٥٥٦٢.

واصدق في حمدك بأن تسلِّط الحمد على سائر أحوالك كلها ظاهرها وباطنها؛ على ما تحب منها وما تكره، حتى وإن غابت عنك حكمة ذلك، وسلِّط الحمد كذلك على سائر جوارحك وليس فقط على لسانك الذي نطق بكلمة الحمد، فلكل جارحة حمد، وأسهل حمدٍ هو حمد اللسان.

والعباد في الحمد ما بين مستقل ومستكثر على قدر معرفة كل منهم لربه، وكلما زادت معرفة العبد بربه كلما زاد حمده له، إذ تنفتح أمام قلبه الحجب فيرى نعمه التي لا تُحصى، وصفاته التي لا توصف، وأسماءه التي تبهر العقول.

وتذوَّق بقلبك معنى شكر الله على نعمه وأنت تتلو: ﴿ **ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾، واستعد بعدها لتدفق المزيد.

نعم منسية!

- **التوفيق لطاعته**: مرَّ **وهب بن مُنبِّه** برجل مبتلى أعمى مجذوم مقعد عريان وهو يقول: الحمد لله على نعمته، فقال له رجل من أصحاب **وهب**: أي شيء بقي عليك من النعمة تحمد الله عليها؟**!** فقال المبتلى: ارمِ ببصرك إلى أهل المدينة، فانظر إلى كثرة أهلها، أو لا أحمد الله أنه ليس فيها أحَد يذكره غيري**!!**
- **صحبة الصالحين**: عن **أبي وائل** قال: انطلقت أنا وأخي حتى دخلنا على **الربيع بن خثيم** فإذا هو جالس في مسجده، فسلَّمنا عليه فردَّ علينا السلام، ثم قال: ما جاء بكم؟ قلنا: جئنا لتذكر الله عز وجل ونذكره معك، وتحمد الله ونحمده معك. قال: فرفع يديه يقول: الحمد لله.. لم تقولا جئناك تشرب فنشرب معك، ولا جئناك تزني فنزني معك، وغيرنا يفعله.
- **الإفلات من الكفر**: قال **حماد بن سلمة**: رأيت **أيوب** وضع يده على رأسه وقال: الحمد لله الذي عافانا من الشرك، ليس بيني وبينه إلا **أبو تميمة** يعني أباه.

- **لطـف الله وإحسانـه**: اشتهى **شبل المدري** لحما فأخذه ليحمله، فانحطت عليه الحدأة فاختلسته منه، فنوى الصوم، ورجع إلى المسجد، فأقبلت الحدأة ونازعتها حدأة أخرى لتأخذ اللحم منها، وذلك بجوار منزل **شبل**، فسقط منهما ووقع في حجر امرأته، فقامت وطبخته، فلما رجع **شبل** إلى منزله ليفطر قدَّمت امرأته إليه اللحم، فقال: من أين لك هذا اللحم؟**!** فأخبرته بالحدئتين وتنازعهما، فبكى **شبل** وقال: الحمد لله الذي لم ينس **شبلاً** وإن كان **شبل** ينساه**!!**

﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

ثم قل: ﴿ **رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾، والمقصود بالعالمين: عالم الإنس وعالم الجن وعالم الحيوان وعالم النبات وعالم الطير وكل عالم نعرفه، وكل عالم لم نكتشفه بعد، وهو وحده المتفرِّد بالربوبية لكل العالمين، والرب في اللغة هو السيد والمتصرف للإصلاح والتربية، فكل العوالم والخلائق تُحفظ وتتعهدها رعاية الله وحده، فهو خالقهم، ورازقهم، ومدبِّر أمرهم، وموجدهم، ومغنيهم.

وكلمة ﴿ **ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾ تشمل العالم كله حتى الكافر الذي أعضاؤه خاضعة لله لكن قلبه كافر. قال تعالى:

﴿ **وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ** ﴾ [الرعد:١٥]

قال **الحسن البصري** في قوله تعالى ﴿ **وَظِلَٰلُهُم** ﴾:

«ألا ترى إلى الكافر؟ فإن ظلاله جسده كله، أعضاؤه لله مطيعة غير قلبه»، وقال **مجاهد**: «ظِلّ الكافر يصلي وهو لا يصلي».



﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

فإذا قلت: ﴿ **ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ** ﴾ فقِف كما وقف نبيك ﷺ من قبل[1]، تنتظر سماع قوله تعالى: «**أثنى عليَّ عبدي**».

وافهم أن قولك ﴿ **ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ** ﴾ إعادة وتكرير لأوصاف كماله لذا أجابك الله بقوله: «**أثنى عليَّ عبدي**»، فإنَّ الثناء إنَّما يكون بتكرار المحامد، وتعداد أوصاف المحمود، لذا كانت ﴿ **ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ** ﴾ آية الحمد، و ﴿ **ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ** ﴾ آية الثناء.

ولكل آية عبودية واجبة، فقم بواجبك تجاه هذه الآية، واستشعر أن كل نعمة أنعم بها عليك هي من رحمة الرحمن الرحيم، فرحمته وسعت كل شيء، فخلق خلقه برحمته، وأنزل كتبه برحمته، وأرسل رسله برحمته، وخلق الجنة برحمته، بل والنار أيضًا برحمته، فإنها سوطه الذي يسوق به عباده المؤمنين إلى جنته، ويطهِّر بها أدران الموحدين من أهل معصيته، وسجنه الذي يسجن فيه أعداءه من خلقه.

وإن كنت جاحدًا للنعم تنساها دائمًا، لكن هل يمكن أن تنسى آخر نعمة أنعم بها عليك؟! ألا وهي مقامك بين يديه تصلي له وتتملقه وتسترحمه وتدعوه وتستعطفه وتسأله، فهذا من تمام رحمته بك لأن غيرك من المطرودين كثير والمحرومون أكثر، وكم جهل أناس حلاوة الصلاة فما أقبلوا، وكم حاول آخرون المواظبة عليها فما أفلحوا، وهؤلاء جميعا فاتتهم الرحمة وأدركتك أنت.

---

(١) حديث أم سلمة رضي الله عنها: «كان ﷺ يقطع قراءته آية آية: ﴿ **الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾، ثم يقف: ﴿ **الرَّحْمَنِ الرَّحِيم** ﴾، ثم يقف». صحيح: رواه الترمذي والحاكم عن أم سلمة رضي الله عنها، كما في صحيح الجامع رقم: ٥٠٠٠.

﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾

فإذا قلت: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ فانتظر رد الله عليك: «**مجَّـدني عبـدي**».

والمالك أو الملك هو الذي لا يحتاج إلى شيء، ويحتاج إليه كل شيء، لذا فهو سبحانه وحده الملك والمالك الحقيقي لكل شيء، وأي وصف لغيره بالملك هو من باب المجاز، لذا ورد في قراءة أخرى لهذه الآية: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾.

وهذه الآية تبيِّن أن قضية الهداية قضية وقت، فكل الخلق سيهتدون، لكن منهم من يهتدي في الوقت المناسب ومنهم من يهتدي في الوقت الضائع، فيوم القيامة يُقِرُّ الخلق كلهم لله بالملك، حين ينادي الله في الخلق أجمعين بعد النفخ في الصور: لمن الملك اليوم، فلا يجيبه أحد، وعندها يقول العظيم: لله الواحد القهار، بينما في الدنيا لا يرى كثير منهم ذلك؛ لا يرون أن المُلك مُعار لهم وأنهم مستخلفون فيه وممتحنون به، بل يرى كل منهم نفسه المالك الحقيقي للنعمة فلا يشكرها بل يكفر.

وقد ربط الله المُلك بيوم الدين لأنه لا أحد ينازع الله ملكه حينها، أما اليوم فكم من منازع لله سلطانه وملكه، ومدَّع للقدرة والعلم والجبروت.

وسُمِّي يوم القيامة بيوم الدين لأنه اليوم الذي يدين الله الخلق بأعمالهم ويحاسبهم عليها، وذلك من موجبات حمده كما قال تعالى: ﴿ **وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ** ﴾ [الزمر:٧٥].

وتأمَّل وأنت تقرأ هذه الآية حالك يوم القيامة، وكيف تكون أفزع ما تكون وأحوج ما تكون إلى الأمن، وأعرى ما تكون وأحوج ما تحتاج إلى الستر، وأعطش ما تكون وأحوج ما تنشد قطرة ماء، وأشد ما تكون ألمًا وتتمنى الانصراف ولو إلى النار، وفي أبأس حالاتك وترجو الجواز إلى الجنة!! والكل



متنكِّر لك حتى أبوك وأمك، ولا يملك إنقاذك من كل هذا إلا مالك يوم الدين الذي يملك الرحمة فيه، ويملك العذاب فيه.

وكيف يجرؤ أحد يوم القيامة أن يدَّعي أنه فوجئ بهذا اليوم أو أن أحدا لم يذكِّره به، وهو يذكره يوميا خمس مرات على الأقل على سبيل الإجبار لا الاختيار؛ فضلا من الله ونعمة، والذنب كل الذنب ذنبك إن كان هذا ذكر لسان لا ذكر قلب!!

ولما كان المُلك شاملاً كذلك لكبريائه، وعظمته، وعدله، ووحدانيته، وصدق رُسله، سمَّى هذا الثناء مجدًا فقال: «**مجَّدني عبدي**»، فإن التمجيد هو الثناء بصفات العظمة والجلال والعدل والإحسان.

ومقتضى قوله: ﴿ **مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ** ﴾ عبودية الذلِّ والانقياد، وكفُّ العبد نفسه عن الظلم والعصيان.

لــو كــان القلــب حيـــاً

فيا لذة قلبك وقرة عينك بقول ربك لك «**عبـدي**» ثلاث مرات، فوالله لولا ما على القلوب من دخان الشهوات وغيم الشبهات لحلَّقتَ طائرًا من شدة فرحك بقول ربك لك: «**حمدني عبدي، وأثنى علي عبدي، ومجَّدني عبدي**»، ولو لم تخرج من صلاتك سوى بذكر الله لك بجلاله وعظمته فكفاك غنيمة، فكيف بما يفضل عليك من ثوابه وفضله؟!

﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾

وإذا وصلت إلى قوله: ﴿ **إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ** ﴾ فقد وصلت إلى الآية المحورية والوقفة المفصلية في السورة، وهي الآية التي تقسم الفاتحة



نصفين، وتتوسط السورة مشعة مضيئة بين الثناء قبلها والدعاء بعدها، وهي أول آية تطلب منك واجبًا عمليًا في القرآن، وتتطلَّب مراجعة نفسك ومحاسبتها، وعندها انتظر قوله تعالى وهو يبيِّن هذه العلاقة الخاصة بينه وبينك: «**هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل**»، فلا يعلم صدقك في قولك من كذبك إلا الله، ولا يطلع على ما يحويه قلبك أثناء قراءتك لهذه الآية غير الله، فكم من قارئ لقوله: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** ﴾ وهو عابد لغير الله من المال والشهوة والجاه والسلطة، يبيع دينه من أجلهم؟! وكم من قارئ لقوله: ﴿ **وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ وهو يستعين بغير الله ويتذلَّل له.

وميِّز بين التوحيد الذي تقتضيه كلمة ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** ﴾ والتوحيد الذي تقتضيه كلمة ﴿ **وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾، فالأولى تقتضي توحيد الألوهية، والثانية تقتضي توحيد الربوبية.

وجدِّد الإخلاص بقولك: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** ﴾ أي إياك أريد بعبادتي، وهو يتضمن العمل الخالص لوجهه، والعلم الخالص لوجهه، فلا يرجو العبد بعمله أو علمه رياء ولا سمعة ولا لفت أعناق الناس إليه.

والعبادة تجمع أصلين: غاية الحب وغاية الذل والخضوع، والعرب تقول: طريق مُعبَّد أي مذلل، والتعبد: التذلل والخضوع، فمن أحببته ولم تكن خاضعًا له لم تكن عابدًا له، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدًا له حتى تكون محبًا خاضعًا.

واقصد بقولك: ﴿ **وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾: تجديد العجز والاحتياج والتبرؤ من حولك وقوتك إلى حول الله وقوته، والاستعانة تجمع بين أصلين عظيمين: الثقة بالله والاعتماد عليه، فإن العبد قد يثق بإنسان ولا يعتمد عليه مع ثقته به وذلك لاستغنائه عنه، وقد يعتمد عليه مع عدم ثقته به لحاجته إليه ولعدم وجود من يقوم مقامه.



واقصد بقولك: ﴿ **وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾: قتل العجب الذي قد ينشأ في قلبك من جرَّاء عبادتك: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** ﴾ لينبِّهك على أن ما حصل لك من العبادة لم يحصل بفضلك وقوتك، إنما حصل بعون الله ومعيته.

وقد صدق الصحابة في قولهم: ﴿ **وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ حتى ضربوا أروع النماذج في الاستعانة والتوكل، فعن **عوف بن مالك الأشجعي** ﵁ أن النبي ﷺ بايع نفرًا من الصحابة فأسرَّ كلمة خفية وقال: **ولا تسألوا الناس شيئًا**. قال **عوف**: «فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوطه فلا يسأل أحدًا يناوله إياه» (١).

وهي صيحة إنذار انطلقت من ألسنة التابعين المقتفين لأثر الصحاب الأولين؛ جاءتك على لسان **الحسن**: «لا تستعِن بغير الله فيكلك الله إليه».

صيغة الجمع وأنت فرد؟!

لتثبت أنك فرد في جماعة، وتتذكَّر أنك جزء من كل، وتستشعر أنك عضو فاعل في جسد حي، فتقتل بذلك أنانيتك، وتحيي إيجابيتك، وتؤكِّد فاعليتك نحو مجتمعك وأمتك.

وفي صيغة الجمع كذلك اعتراف بتقصيرك، وعدم استحقاقك الوقوف بين يدي ربك منفردًا، لسان حالك: إلهي!! ما بلغت عبادتي أن أستحق التقدم وحدي إلى جنابك العظيم؛ لأنها ممزوجة بجوانب التقصير وألوان التفريط؛ لذا أتقدَّم بها إليك محفوفة بعبادات الصالحين الذين لا يشقى جليسهم، مرتديًا جلباب التواضع وثوب الرجاء.

---

(١) صحيح: صحيح أبي داود رقم: ١٤٤٩، وأخرجه مسلم.

تقديم العبادة على الاستعانة

وافقه سبب تقديم ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ على ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ أي تقديم العبادة على الاستعانة:

١) فهو من باب تقديم الغايات على الوسائل؛ إذ العبادة غاية العباد التي خُلقوا لها، والاستعانة وسيلة إليها.

٢) وهو من باب تقديم حق الله على حق العبد، فالعبادة لله والاستعانة للعبد، ولأن العبادة حق الله على العبد، أما الاستعانة فهي استعانة العبد بربه، فقد قُدِّم حق الرب.

٣) ولأن العبادة المطلقة تتضمن الاستعانة من غير عكس، فكل عابد لله عبودية تامة مستعين به ولا ينعكس؛ لأن صاحب الأغراض والشهوات قد يستعين به على شهواته، فكانت العبادة أكمل وأتم.

٤) ولأن الاستعانة جزء من العبادة من غير عكس.

٥) ولأن الاستعانة طلب منه والعبادة طلب له.

٦) ولأن العبادة لا تكون إلا من مخلص، والاستعانة تكون من مخلص ومن غير مخلص.

٧) ولأن العبادة حق الرب عليك، والاستعانة: طلب عونه على عبادته، وهي بمثابة التعرض لصدقته، وأداء حقه أهم من التعرض لصدقته.

٨) ولأن العبادة شكر نعمته عليك؛ والله يحب أن يُشكر، والإعانة فعله بك وتوفيقه لك، فأنت إذا التزمت عبوديته أعانك عليها، وكلما كان العبد أتم عبودية كانت الإعانة من الله له أعظم.



٩) والعبودية محفوفة بإعانتين: إعانة قبلها على التزامها والقيام بها، وإعانة بعدها على عبودية أخرى، وهكذا أبدا حتى يقضي العبد نحبه.

١٠) ولأن ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ له، و﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ به، وما له مُقدَّم على ما به؛ لأن ما له متعلق بمحبته، وما به متعلِّق بمشيئته؛ ما له لا يستقر في النار منه شيء، وما به يستقر منه في النار ما شاء الله له أن يستقر، والكون كله متعلق بمشيئته؛ فالملائكة والشياطين والمؤمنون والكفار والطاعات والمعاصي كلهم تحت مشيئة الله، لكن المتعلق بمحبته هم أهل طاعتـه فحسـب.

ســـر الالتفــــــــات

ولو جرى الكلام على أصل سياق الآيات لقلت: (إياه نعبد)، لكن الآيات عدلت عن ضمير الغائب إلى ضمير المخاطب وهو ما يسميه أهل اللغة: الالتفات. **وحكمة الالتفات والله أعلم:**

- أن المصلي عند الشروع في الصلاة كالغريب الذي دخل على ربه؛ فلما أثنى على الله بأنواع المحامد قُرِّب من الله أعظم تقريب، فكأن الله قال له: حمدتني وأثنيت عليَّ ومجَّدتني، فاستحققت أن أرفع عنك الحجاب لتقدِّم ما شئت من الخطاب.
- أن من أول السورة إلى هنا ثناء، والثناء في الغيبة أصدق وأخلص، ومن هنا إلى آخر السورة دعاء، والدعاء في الحضور وعلى سبيل المشافهة أولى وأرجى.

احـذر.. البطلان والخذلان!!

كل عبادة لا تكون لله وبالله فهي باطلة مضمحلة، وكل استعانة لا تكون بالله وحده خذلانٌ وذُل.



ولتقديم ﴿ إِيَّاكَ ﴾ أسباب أربعة:

- إفادة الحصر والقصر بإثبات العبادة والاستعانة لله وحده ونفيهما عما سواه، فكأنك قلت: نعبدك ولا نعبد غيرك، ونستعين بك ولا نستعين بغيرك، وهذا من أروع البلاغة والإيجاز.
- الأدب مع ربك حيث قدَّمته على عبادتك، وذكرته قبل أن تذكر نفسك، وهنا يعلِّمنا ربنا أدب التعامل معه لنعتاد أن نقدِّم أمره في كل شؤوننا على ما سواه.
- وفيها إعانة لك على الطاعة إذا ثقلت عليك لتفجأك هذه الكلمة وسط السورة، وتنبِّهك على أن المعبود هو الله جل جلاله؛ وباستحضار هيبته وتعظيمه تسهل عليك عبادته.
- وفيها كذلك لفت نظر إلى الغاية ثم إلى الوسيلة الموصلة إلى هذه الغاية، فالغاية هو الله والعبادات كلها وسائل مؤدية إليه.

ثم إعادة كلمة ﴿ إِيَّاكَ ﴾ مرَّة بعد مرة تأكيد وجزم على أنه لا يجب على الإطلاق أن يُعبد غير الله، ولا يجب أن يُستعان إلا بالله، ففي إعادة الضمير من القوة ما ليس في حذفه، فإذا قلت للملك مثلاً: إياك أحب وإياك أخاف؛ كان فيه من اختصاص الحب والخوف بذاته والاهتمام بذكره ما ليس في قولك إياك أحب وأخاف.

وفي التكرار كذلك تعليم العباد أن يجدِّدوا ذكر الله ويكرِّروه ويُكثروا منه كل وقت.

وفي التكرار تلذذ بمناجاة الله وخطابه.

والإتيان بضمير المخاطب الحاضر دون ضمير الغائب ضروري لتشعر بالمواجهة الحقيقية للرب سبحانه والوقوف الفعلي بين يديه.



ومن معاني: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾: أي لا نعبد غيرك، ولا نقوى على شيء من عبادتك ولا نثبت عليها إلا بالاستعانة بك وحدك، فما تيسرت طاعته إلا بإعانته، ولو حرَمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطـان اللعـين.

مدار القرآن على هذه الآيـة

وتأمل كيف يدور القرآن كلّه من أوّله إلى آخره عليهما، وكيف تضمّنتا أجلَّ الغايات وأكمل الوسائل، فأجل الغايات عبوديته وأكمل الوسائل إعانته.

إشراقة نورانية

- قال **مزاحم بن زفر**: «صلى بنا **سفيان الثوري** المغرب، فقرأ حتى بلغ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ بكى حتى انقطعت قراءته، ثم عاد فقرأ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾».
- قال شيخ الإسلام **ابن تيمية**: «تأملت أنفع الدعاء، فإذا هو سؤال العون على مرضاته، ثم رأيته في الفاتحة في: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾».
- قال **محمد بن عوف الحمصي**: «رأيت **أحمد بن أبي الحوارى** عندنا بطرسوس، فلما صلى العتمة قام يصلي، فاستفتح بالحمد إلى قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، فطفـت الحائـط كلـه ثـم رجعت فـإذا هو لا يجـاوز ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، ثم نمت ومررت به سحرًا وهو يقرأ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ فلم يزل يردِّدها إلى الصبح».

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾

فـإذا قلـت: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ إلى آخرهـا فانتظر ردَّ الله عليك: «**هذا لعبـدي ولعبـدي ما سـأل**».



ثم تأمل أنك تدعو بهذا الدعاء بعد فراغك من آيات الثناء على الله، وبعد تعهدك بعدم عبادة إلا الله وعدم الاستعانة إلا به، مما يجعل الإجابة أرجى والقبول أقرب.

ظمآن إلى قطرة هداية

وافهم معنى الهداية في: ﴿ **ٱهۡدِنَا** ﴾، فللهداية أنواع؛ منها الهداية من:

١) أمور فعلها المرء عاصيًا، واستغل الشيطان فيها نقطة ضعفه فأغواه وأضله، وأحدث فجوة في سور إيمانه تسلل منها إلى قلبه، فهو على غير الهداية علمًا أو عملاً أو إرادة؛ لذا فهو محتاج إلى التوبة منها.

٢) وأمور قد هُدي إلى أصلها دون تفصيلها فهو محتاج إلى هداية تفاصيلها، كمن تصدَّق لكنه راءى، وصلى لكن صلاته لم تنهه عن الفحشاء والمنكر، وحج لكن من مال حرام.

٣) وأمور اعتقد فيها الصلاح والخير وهي خلاف ذلك، فهو محتاج إلى هداية تنسخ من قلبه ذلك الاعتقاد الباطل، كمن ظن أن المهم هو صلاح القلب دون المبادرة بالأعمال، أو ظنَّ أن الزهد والاعتكاف أحب إلى الله من مخالطة الناس ودعوتهم إلى الخير، أو من أفتاه إبليس بجواز أكل الحرام والرِّشوة في سبيل نفقة أبنائه.

٤) وأمور من الهداية هو قادر عليها، ولكن لم تُخلق له إرادة فعلها، فهو محتاج في تمام الهداية إلى هذه الإرادة، ولا يملك أن يزرعها فيه إلا الله، كمن أراد الصلاة منذ سنين لكنه لا يستطيع المداومة عليها، أو من أرادت الحجاب

لكنها أضعف من أن تهزم الشيطان والهوى مجتمعيْن، أو من أراد الحج وهو غنيٌّ مالاً وصحة لكنه شحيح روحا وقلبا، أو من قدر على التوبة لكنه للأسف .. مشغول!!

٥) وأمور هو غير قادر على فعلها مع أنه يريدها، فهو محتاج في هدايته إلى القدرة عليها، كمن أراد التصدق غير أنه لا يملك المال، ومن أراد الحج وهو يشتكي الفقر أو المرض أو كليهما، ومن أراد قيام الليل لكنه مكبَّل بأعباء المعيشة والسعي على الرزق طيلة النهار وبعضا من الليل.

٦) وأمور هو غير قادر عليها ولا مريد لها، فهو محتاج إلى خلق القدرة عليها والإرادة لها لتتم له الهداية.

٧) وأمور: هو قائم بها مهتد لها، فهو محتاج إلى الثبات عليها حتى الممات.

واستشعر بقولك: ﴿ ٱهْدِنَا ﴾ ضرورتك وشدة فاقتك إلى الهداية التي لست إلى شيء أشد فاقة وحاجة منك إليها، فإنك محتاج إليها في السراء والضراء.. في الشدة والرخاء.. في كل نفس وطرفة عين وإلا هلكت، ولهذا فرض عليك الرب الرحيم هذا السؤال كلّ يوم وليلة في أفضل أحوالك وأسمى درجاتك، وهي الصلوات الخمسُ، مرات متعددة، لشدَّة ضرورتك واحتياجك إلى هذا المطلوب.

لأول مرة

لأول مرة: أقف مع نفسي وقفة جادة لأحدِّد نقطة ضعفي، ومن أين يأتيني الشيطان ليضلني، وما الذي لم أدركه من الهداية حتى الآن لأسعى إلى إدراكه، ولأول مرة أدخل إلى الصلاة وكلي عزم وتصميم على الدعاء من أعماق قلبي أن أهتدي لما فاتني من أنواع الهداية السبعة، وأن يرزقني الله ما حُرِمت منه.

﴿ ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾

ثم سل نفسك: ما هو الصراط المستقيم الذي أدعو به منذ أن وعيت وأدركت؟! وهل أعرف معناه؟! مع علمك أنه صراط واحد ليس له ثان، لذا جاء معرَّفًا بالألف واللام، فليس هناك غيره، فهل تُراك اهتديت إليه أم لا زلت بعد في الضالين؟!

ألا فاعلم – إن لم تعلم قبل اليوم – أن الصراط المستقيم يتضمن ستة أمور:

١) معرفة الحق.
٢) قصده وإرادته.
٣) العمل به.
٤) الثبات عليه.
٥) الدعوة إليه.
٦) الصبر على أذى من دعوته إليه.

فباستكمال هذه المراتب الستة يكون العبد قد هُدِي إلى الصراط المستقيم، وما نقص منها نقص من هدايته، وكل منا يشكو أنه لم يستكمل واحدة أو أكثر من هذه الست، فالعاصي لا يعرف الحق أو عرفه ولم يعمل به، والطائع إن أطاع يومًا لم يداوم على طاعته، وإن داوم اكتفى بنفسه ولم يدعُ غيره، وإن دعا غيره فابتلي نكص على عقبيه ولم يكمل.



لأول مرة: أراجع نفسي في اقتفائي للصراط المستقيم من عدمه، وأقف على ما لم أستكمله من أركانه الستة، وأعرف قدر نفسي وتقصيرها في حق الله، ثم أخرج من الصلاة وأنا حريص على إتمام الاستقامة على صراط الدنيا تمهيدًا للاستقامة على صراط الآخرة والعبور عليه نحو الجنة.



أقســـــــام ثلاثــــــــة

ثـم تأمَّل أقسـام الخلـق الثلاثـة بالنسبة إلى الهدايــة:

١) **مُنعــم عليهـــم**:

بحصولها لهم واستمرارها، وتذكَّر هؤلاء في صلاتك، واستشعر الرابطة الروحية والصلة الأخوية بينك وبينهم، وتجوَّل بقلبك بين جموع المنعم عليهم، ففي ركعة من الركعات اذكر رسول الله ﷺ وحوله الخلفاء الراشدون، وفي ركعة اذكر **أحمد بن حنبل** وثباته على الحق، وفي ركعة ثالثة اذكر **عبد الله بن المبارك** وعلمه مع جهاده في سبيل الله، **والربيع بن خثيم** ووجله وبكاءه من خشية الله، **وعمر بن عبد العزيز** وعدله وورعه، وفي ركعة رابعة اذكر رجالات القرن العشرين فما أمتنا بعقيم، بل أنجبت **البنا وأحمد ياسين**؛ نموذجين للذين أنعم الله عليهم من المعاصرين؛ وادعُ الله أن يهديك سبيلهم وأن يزاحم كتفك أكتافهم في ساحة الحشـر.

والمراد بالنعمة هنا: النعمة التي لا يشوبها كدر، ولا تكون عاقبتها السوء، فهي شاملة لخيرات الدنيا الخالصة من العواقب السيئة، ولخيرات الآخرة التي لا تنفد وهي الأهــم.

ولاحظ أنه قال: ﴿ **أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ** ﴾، فلولا إنعام الله ما اهتدوا، ولولا فضل الله ما ثبتوا على الهداية، مما ينزع جذور الغـرور من كل مراءٍ بعمله، ليـرد الفضل إلى الله ويرجع خاشعًا متواضعًا.

وانوِ بإبراز ضمير مانح النعمة ﴿ **أَنْعَمْتَ** ﴾ بدلا من قولـك المُنعم عليهم: ذِكْر لله وشكره باللسان والقلب، ليكون هذا الدعاء مقترنا بالشكر والذكر.



مـــا هـــي النعمـــــــــة؟

هل النعمة ملبس فاخر وقصر مشيد؟!

هل النعمة زوجة حسناء جميلة وأبناء كثر؟!

هل النعمة عمل مريح وراتب مغري؟!

هل النعمة صحة وقوة ومنعة وسطوة؟!

اسمعوا بماذا امتن الله تعالى على نبيه وأصحابه:

﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ [المائدة:٣].

ويحق لك أن تتســـاءل:

أي نعمة ورسول الله كان يمر عليه الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين، وما يوقد في أبيات رسول الله ﷺ – وهي تسعـة – نار!!

أي نعمة ورسول الله ﷺ كان إذا جاع فلم يجد ما يأكله ربط على بطنه الحجر من شدة الجوع، ويوم الخندق ربط حجرين!!

أي نعمة والفاروق ﷺ يقول: «رأيتُ رسول الله ﷺ يلتوي في اليوم من الجوع ما يجد من الدَّقل ما يملأ به بطنه» (١). والدَّقل هو رديء التمر!!

أي نعمة وما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتاليين!! بل وقُبِض ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعـًا من شعير!!

فأي نعمة إذن هي المقصودة؟! النعمة الحقيقية .. يا أتباع النبي الخاتم هي نعمة الطاعـة .. نعمة القرب من الله .. نعمة الفوز في الآخـرة.

---

(١) صحيح: رواه مسلم وهو في السلسلة الصحيحة رقم: ٢١٠٦.

وما ينفع الغني ماله إذا كانت العاقبة: سقــر!

وماذا تُجديه عزته وسطوته إذا كانت اللقطة الأخيرة جهنميـة؟!

٢) مغضــوب عليهــم:

عارفون بالهداية علمًا منسلخون منها عملاً، قد عَرفوها ولم يعملوا بها، ولذا غضب الله عليهم وأخرجهم من رحمته.

وقد جاءت الصيغة عامة ليدخل مع غضب الله غضب الملائكة والأنبياء والمؤمنين، فهؤلاء ملعونون بكل لغة ومن الجميع.

وهنا كذلك مزج بين مقام الخوف ومقام الرجاء خشية أن يستغرقك مقام الإنعام فتذهل عن المقام الآخر.

٣) وضالــــــــون:

حائدون عن الهداية، حائرون لا يهتدون إليها سبيلاً، لم يُعطَوا هذه الهداية ولم يُوفَّقوا إليهــا.

فادعُ الله في صلاتك أن يهديك صراط الذين أنعم عليهم لا صراط من عرف الحق ورفض اتباعه، أو صراط من ضل الطريق وتاه فلم ير الحق ابتداءً ولم يوفق للعمل به انتهــاءً.

ويذهب **ابن القيِّم** محلِّلا فيقـول:

«صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده، بل ما أُعطي عبدٌ عطاء بعد الإسلام أفضل ولا أجلَّ منهما، بل هما ساقا الإسلام وقيامه عليهما، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم، وطريق الضالين الذين فسدت فهومهم، ويصير من المُنعَم عليهم الذين حسنت



أفهامهم وقصودهم، وهم أهل الصراط المستقيم الذين أمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة »[(١)].

وتأمل ما في إسناد فعل الإنعام إلى ضمير الجلالة من إشادة بشأن المُنعم عليهم ورفعة قدرهم؛ خلافًا لغيرهم من المغضوب عليهم والضالين، وفيه أيضًا أدب مع الله حيث نسب الإنعام والهداية إلى الله تعالى، والغضب حذف فاعله أدبًا، وأسند الضلال إلى العبيد.



لأول مرة: أراجع ذاكرة أيامي وصحيفة أعمالي وأشعر بالخوف من أن أكون ممن عرف شيئًا من الحق ثم نكص عنه فيغضب الله عليَّ، أو ممن زيَّن له الشيطان باطله فرآه حقًا وسيءَ عمله فرآه حسنًا فأكون من الضالين.



التأمين ورفع اليدين

ثم اشرع في التأمين آخر هذا الدعاء تفاؤلاً بإجابته وحصوله، وطابعًا عليه، وأصغِ لتأمين الملائكة معك، فقد قال النبي ﷺ: «**إذا قال الإمام: ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ فقولوا: آمين، فإنه من وافق قوله قول الملائكة غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه**»[(٢)].



(١) حديث أم سلمة رضي الله عنها: «كان ﷺ يقطع قراءته آية آية: ﴿ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، ثم يقف: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾، ثم يقف». صحيح: رواه الترمذي والحاكم عن أم سلمة رضي الله عنها، كما في صحيح الجامع رقم: ٥٠٠٠.

(٢) صحيح: رواه البخاري ومالك عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٧٠٧.

وهذا التأمين ينطق به المصلون في الجماعة في نَفَس واحد ولسان واحد، ليعلنوا وحدة الأمة الرائعة، ونظامها الفريد الذي لا تقدم فيه ولا تأخر، ولهذا اشتد حسدُ اليهود للمسلمين عليه حين سمعوهم يجهرون بالتأمين في صلاتهم. قال ﷺ: «**ما حَسَدَتْكم اليهودُ على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين**»[1].

يحسدوننا على الصلاة وبيننا اليوم من لا يصلي!! يحسدوننا على نعمة يركلها بعضنا اليوم بقدمه؛ فلا يصلي أو يصلي جسده وقلبه غير مصلٍّ!! يحسدوننا على كلمة واحدة من كلمات الصلاة فكيف بسائر الصلاة؟! لعلنا نراجع بذلك نفوسنا ونعرف قدر صلاتنا لننزلها ما تستحق.

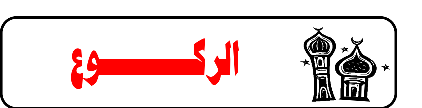


فاتحة أمام الكعبة

قال **محمد الحمصي**: «رأيت **ابن أبي الحوارى** فلما صلى قام يصلي فاستفتح بـ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ إلى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فطفت حول الكعبة كله ثم رجعت، فإذا هو لم يتجاوزها فلم يزل يُردِّدُها حتى الصبح».



(١) صحيح: رواه أحمد وابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها، كما في صحيح الجامع رقم: ٥٦١٣.



الركــــوع

ثم ارفع اليدين عند النزول للركوع تعظيمًا لأمر الله، ولتمكين اليدين من المشاركة في هذه العبودية الخاصة كعبودية باقي الجوارح، واتباعًا كذلك لسنَّة النبي ﷺ.

ثم اشرع في التكبير الذي هو في انتقالات المصلي من رُكن إلى ركن، كالتلبية في انتقالات الحاجِّ، من مشعر إلى مشعر، فهو شعار الصلاة، كما أن التلبية شعار الحج.

ثم اهبط له راكعًا، والركوع خضوع بظاهر الجسد، ولهذا كانت العرب لشرفها ومكانتها تأنف منه ولا تفعله، حتى رُوِي أن حكيم بن حزام رضي الله عنه بايع النبي ﷺ أن لا يخر إلا قائمًا أي لا يركع لله.

فانزل برأسك استكانة لهيبة الله وتذللاً لعزته، وهو ما تعبِّر عنه حركة جوارحك حين تحني له صلبك، وتخفض قامتك، وتُنكِّس هامتك، وتُكبِّره مُعظِّمًا له، ناطقًا بتسبيحه مقترنًا بتعظيمه، لذا إن شئت سميت الركوع ركن:

الخضــوع للعظمــة

ولهذا قال النبي ﷺ عنه: «**فأما الركوع فعظِّموا فيه الرب**»[1].

ففي الركوع خضوع القلب، وخضوع الجوارح، وخضوع اللسان على أتمِّ الأحوال.

---

(١) صحيح: رواه مسلم وأبو داود وأحمد عن ابن عباس كما في صحيح الجامع رقم: ٧٧٩.



وانشد كمال العبودية في الركوع بأن تتصاغر وتتضاءل لربك، بحيث يمحو تصاغرك لربك كلَّ تعظيم في قلبك لنفسك أو للخلق، ويثبِّت مكانه تعظيمك لله وحده الذي لا شريك له.

وكلما استولى على قلبك تعظيم الربِّ وقوي؛ خرج منه تعظيم الخلق، وتصاغرت لديك نفسك، فالركوع في الحقيقة ركوع القلب، وإنما الجوارح أتبـاع له وجنـود.

مفتاح الخضوع أذكار الركوع

واحفظ أذكار الركوع عن ظهر قلب، لأنها نعم المعين لك على استحضار عظمة الرب الجليل والخضوع له، وقد كان النبي ﷺ يطيل الركوع كإطالته للقيام تمامًا لأنه كان يكرِّر هذه الأذكار في تأن وتدبر، ولقد اخترت لك منها أربعة أدعية – تضاف إلى «**سبحان ربي العظيم**»– توصلك إلى الهدف:

١) «**سبحـان ذي الجبروت والملكـوت والكبريـاء والعظمـة**»[١].

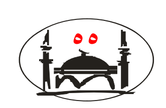
«**والجبروت**» من الجبر بمعنى القهر والغلبة فيقصم الجبارين والمتكبِّرين، أو بمعنى جبر الكسر فيرحم المظلومين ويجبر خواطر المكروبين، أو بمعنى العلو فلا تناله الأفكار ولا تصل إلى كنهه العقول.

«**والملكوت**» وهو الملك الظاهر لنا من آثار قدرته ودلائل عظمته، والملك الغائب عنا من الكرسي والعرش والجنة والنار وسائر مشاهد الغيب.

«**والكبرياء**» هو الترفُّع عن الانقياد، وهو صفة مذمومة في حق البشر، لكنها صفة مدح في حق الرب سبحانه، وهو نابع من كمال الذات وكمال الوجود، لذا فهو سبحانه المتفرِّد بالكبرياء وحده، فقد قال:

---

(١) صحيح: رواه النسائي عن عوف بن مالك، كما في مشكاة المصابيح ١/ ١٩٢.



«**الكبريـاء ردائي، فمــن نـازعني في ردائي قصمتـه**»[1].

ولذا لا يسمح الله لأحد من خلقه أن يشاركه ولو في ذرة من هذا الكبرياء، بل وحرَّم عليه أن يدخل الجنة عقوبة مغلَّظة لمن كان في قلبه ولو مثقال ذرة من كبر.. نعم مثقال ذرة**!!**

٢) «**اللهـم لك ركعـت، وبك آمنـت، ولك أسلمـت، خشـع لك سمعي وبصـري ومخـي وعظمـي وعصبـي**»[2].

«**بك آمنت**»: وفي تقديم «**بك**» إشارة إلى التخصيص، «**ولك أسلمت**» أي لك ذللت وانقدت، و«**خشع**» أي خضع وتواضع وسكن لك، «**سمعي**»: فلا يسمع إلا ما يُرضيك، فلا أسمع لغوا ولا غيبة ولا فاحش قول أو غناء، «**وبصري**»: فلا يخون من يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، ولا ينظر إلى الحرام، وتخصيص السمع والبصر من بين الحواس لأن أكثر الآفات والشواغل والمُلهيات منهما، فإذا خشعتا قلَّت الوساوس، ثم يأتي كمال الخشوع والخضوع في ظهور أثره على المخ والعظم والعصب وكل خلية في الجسد.

واحذر أن يخالف حالك خارج الصلاة قولك داخلها، فتتمرَّد على الله ولا تخضع لأوامره ونواهيه، وإياك أن تظل مُصِرًّا على مخالفة أمر من أوامره صغيرًا كان أو كبيرًا، وإن توالت منك المخالفات والخروقات فماذا كان معنى ترديدك في الصلاة: «**خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي**»؟!

أنسيت بعد الصلاة ما عاهدت الله عليه في الصلاة؟**!** أم ظننت الخضوع كلمة تلوكها الألسنة دون أن تعرف طريقها إلى العمل؟**!** ألا تستطيع أن تكون رجلا وعلى مستوى الكلمة التي وعدت بها الله؟**!** أما حان لك أن تعلن خضوع كل عباداتك ومعاملاتك وأخلاقك لشرع الله؟!

---

(١) صحيح: رواه الحاكم عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٤٣٠٩.
(٢) صحيح: رواه مسلم عن عليّ بن أبي طالب، وأورده الألباني في صحيح أبي داود رقم: ٦٨٨.



أكنت تكذب على ربِّك وأنت بين يديه؟! أم كنت تردِّد ما لا تفهم معناه؟! لو كنت أجنبيا لا تفهم العربية لكان لك بعض العذر، فكيف والقرآن نزل بلسانك، لذا كان كتاب الله في حقك أيها العربي حجتين اثنتين لا حجة واحدة؛ مرة لأنه خطاب ربك، ومرة ثانية لأنه أنزله بلغتك.

أيها الراكعون.. راجعوا ركوعكم قبل أن ترفعوا رؤوسكم...

أيها الراكعون.. أحنيتم ظهوركم ونسيتم قلوبكم والقلب أولى...

يا من ركع وما ركع لأنه ما خضع، وتاه عن طريق الهداية وما رجع: أنقذ نفسك!! الكون كله والخلائق بأسرها خضعت ولم يبق إلا أنتم أيها البشر فمتى تتأدبون وتقدرون الله قدره وتخشعون!!

لأول مرة

لأول مرة: أعرض حصائد سمعي وبصري ومخي على قلبي، وأحاسب نفسي عن كل ما دخل سمعي هل هو مما يرضي الرب سبحانه، وهل صُنت بصري من صور العري التي عمَّت حولي وطغت وأعيت، وهل قطعت على الشيطان طريقه وأحبطت محاولات إفساده من البداية؛ حين حميتُ مخي من التفكير في الحرام والشغف بالحرام والتخطيط للحرام، فإن معرفة الداء أولى خطوات العلاج.

المتمردون

يا من لم ترتدي الحجاب أو ارتديتيه دون أن تتأدبي بآدابه وتراعي قدسيته فتزيَّنتِ للرجال وتعطَّرتِ لتلفتي الأنظار، هل خضعتِ لله؟

يا من تلوَّث ماله بالربا وجنى منه ما يُسمِّيه بالفوائد وهو أصل المضار، هل خضعت لله؟

يا من أطلق العنان لبصره وأرخى الزمام لشهوته وتتبع خطى هواه واقتفى أثر الشيطان، هل خضعت لله؟!

يا من كنز ماله فما أخرج زكاته، وبخل عن نفسه فما جاد بالصدقة، هل خضعت لرب المال ورازقه؟!

يا من ساء خُلقه وآذى جيرانه وأقرانه حتى هجروه واجتنبوه وما كلموه، هل خضعت لله؟!

٣) «**سُبُّوح قُدُّوس رب الملائكة والروح**»[1].

«**سُبُّوح**»: هو المُسبَّح أي المبرَّأ من النقائص والشريك والولد وكل ما لا يليق به.

«**قُدُّوس**» من القُدُس، والتقديس هو التطهير، والأرض المقدَّسة: الأرض المُطهَّرة، وسُمِّيت الجنة حظيرة القُدُس، لأنها مُطهَّرة عن آفات الدنيا، وسُمِّي **جبريل** روح القُدُس لأنه طاهر من العيوب في تبليغ الوحي المُطهَّر من كل ما لا يليق بالخالق.

ومن عجيب ما جاء في تعريف القُدُّوس أنه المُنزَّه عن أوصاف الكمال!

فأنت إذا أردت أن تُثني على ربك نسبت إليه الكمالات التي تعرفها، لكنه سبحانه مُنزَّه عن الكمالات البشرية التي يتصوَّرها عقلك القاصر، والتي قد تصلح أن تُنسب لنفسك أو للبشر حولك، لكنها لا تليق بالخالق سبحانه.

وهذا القصور في تصور الكمال لأنك بشر وتفكيرك تفكير بشر، لكنه سبحانه لا تصل إلى عظمته العقول والأفهام، فكل ما خطر ببالك من

(١) صحيح: رواه مسلم، وأورده الألباني في صحيح أبي داود رقم: ٧٧٥.

درجات الكمال، فالله بخلاف ذلك لأنه أعلى وأجلُّ من ذلك، وقريب من هذا قول الشاعر:

ألم تر أنّ السيف يُزري به الفتى إذا قلتَ إنَّ السيف أمضى من العصا

وقوله «**ربُّ الملائكة والروح**»، كذلك مما يساعدك على تعظيم الرب التأمل في عظمة خلقه، وهل أعظم من خلق الملائكة؟! والروح هو **جبريل** عليه السلام، وهذا من التخصيص بعد التعميم، ويكفيك قراءة هذا الحديث لتعلم عظمة خلق مَلَك واحد من الملائكة، قال ﷺ: «**أُذِن لي أن أحدِّث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السفلى وعلى قرنه العرش، وبين شحمة أذنه وعاتقه خفقان الطير سبعمائة عام**»[(١)].

وكأن المعنى: كيف لا تخضع له وقد خضع له من هو أعظم منك خلقا حتى ازدحمت بهم السماوات، فما من موضع قدم إلا وملك واضع جبهته ساجد لله.

الخضوع المؤقت!!

اسأل نفسك في جلسة صفاء وحضور قلب ونقاء:

هل أخضع لله بكل جوارحي وكياني في رمضان ثم أنساه بعد رمضان؟!

هل أرتدي الحجاب في موسم الحج والعمرة ثم أخلعه بعدهما؟!

هل أرجع إلى الله تائبًا مستغفرًا تحت وطأة المرض والفقر حتى إذا شفاني وأغناني نسيته وهجرته؟!

هل أبكي ويرق قلبي عقب موت قريب أو دفن حبيب ثم ما أسرع ما يلهيني الدينار وتعاقب الليل والنهار؟! وأمام بريق الذهب أكتشف أن أثر الذكرى قد ذهب!!

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في الأوسط عن أنس كما في صحيح الجامع رقم: ٨٥٣.

٤) «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**»(١).

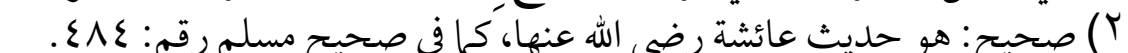
وهو الدعاء الذي ما تركه رسول الله ﷺ في صلاة قط كما روت ذلك أم المؤمنين **عائشة** رضي الله عنها حيث قالت: ما رأيت النبي ﷺ منذ نزل عليه: ﴿ **إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ** ﴾ [النصر:١] يصلي صلاة إلا قال فيها: «**سبحانك ربي وبحمدك، اللهم اغفر لي**»(٢).

يعلِّمنا بذلك الثبات على الطاعة وعدم التراجع عنها مهما تكن الظروف.

وطلب المغفرة نتيجة عملية وثمرة طبيعية للخضوع لله، وقولك: «**وبحمدك**» أي أسبِّح الله متلبسًا بحمدي له على توفيقه، فبقوتك التي هي نعمة تسحق الحمد سبَّحتك لا بحولي وبقوتي، والتسبيح إشارة إلى صفات الجلال، والتحميد إشارة إلى صفات الكرم.

ومن معاني هذا الدعاء: أنزِّه الله عن جميع النقائص وأحمده بجميع الكمالات، وهو من تقديم التخلية على التحلية، فقدَّم التسبيح الدال على التخلية على التحميد الدال على التحلية، وتقديم الثناء والمدح أرجى لإجابة دعاء: «**اللهم اغفر لي**».

ومع أن هذا الدعاء مشروع في الركوع والسجود، إلا أن طعمه في الركوع مختلف عن طعمه في السجود، ففي الركوع يرتبط هذا الدعاء ارتباطًا وثيقًا



(١) صحيح: هو حديث عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**». يتأول القرآن، كما في اللؤلؤ والمرجان رقم: ٢٧٥، أي يعمل ما أمره الله به في قوله: ﴿ **فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُ** ﴾ [النصر:٣].
(٢) صحيح: هو حديث عائشة رضي الله عنها، كما في صحيح مسلم رقم: ٤٨٤.



بهدف الركوع وهو الخضوع للعظمة، وهو بمعنى أن الله بعظمته لا يُعجزه أن يغفر لك ذنوبك ولو كانت كالجبال الشاهقات، ومن شك في إمكانية غفران الله له ذنبه فقد اتهم الله في عظمته وطعن عليه في قدرته، أما عن ترديد هذا الدعاء في السجود فهو مرتبط بالتذلل لله والافتقار إليه.

ولشرف التسبيح وفضله سُمِّيت صلاة النافلة سُبحَة لاحتوائها على التسبيح؛ ومنه قوله ﷺ: «**واجْعلُوها سُبْحَةً**»[1]، ومنه سمِّيت صلاة الضحى: سُبْحَة الضحى، حتى رُوِي أن **عمر بن الخطاب** ﷺ جلد رجلين سبَّحا بعد العصر أي صلَّيا نافلة.

وبتقلبك بين هذه الأدعية الأربعة إضافة إلى «**سبحان ربي العظيم**» تصل إلى هدف الركوع الذي أسميناه آنفًا: الخضوع للعظمة، وإن لم تصل إلى هذا المعنى في ركوعك فلا ترفع رأسك منه حتى تتذوَّقه.



لأول مرة

أراجع نفسي في تحقق خضوعي لله؛ هل هو في سري مثل جهري أم أني خائن له في السر؟! هل هو في جدي مثل هزلي أم أن هزلي يعتريه الإفراط والاعتداء والكذب؟! هل هو في حالات هدوئي مثل غضبي أم أن غضبي من النوع الأعمى الذي أطيح فيه بأدب الإيمان وأجرح من حولي؟! وهكذا في سائر أحوالي وأوقاتي، وبذا أحدد الخروق والتجاوزات ثم أسعى حثيثًا فور أن أسلِّم في رتقها ومعالجتها بعون الله وتوفيقه.

---

(١) صحيح: حديث عبد الله ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**لعلكم ستدركون أقوامًا يصلون الصلاة لغير وقتها، فإن أدركتموهم فصلوا في بيوتكم للوقت الذي تعرفون، ثم صلوا معهم واجعلوها سُبْحة**». كما في صحيح ابن ماجة رقم: ١٠٣٧، وصحيح أبي داود ٤٥٨، وأخرج مسلم نحوه.

إشراقة نورانية

قال **أويس القرني**: لأعبدن الله في الأرض كما تعبده الملائكة في السماء، فكان إذا استقبل الليل قال: يا نفس.. هذه ليلة القيام، فيصف قدميه حتى يصبح، ثم يستقبل الليلة الثانية، فيقول: يا نفس.. هذه ليلة الركوع، فلا يزال راكعًا حتى يصبح، ويستقبل الليلة الثالثة، فيقول: يا نفس.. هذه ليلة السجود، فلا يزال ساجدًا حتى يصبح.



القيام من الركوع

ثم انتقل إلى مقام الاعتدال والاستواء، رافعًا يديك، واقفا في خدمة ربك وبين يديه كما كنت في حالة القراءة، واستبشر بقولك: «**سمع الله لمن حمده**»، فمعناه: سَمِعَ سَمْعَ قبول وإجابة، ثم احمد الله على ما حُرِم منه غيرك كما فعلت في الفاتحة.

ولهذا الاعتدال طعم خاص وحال يتذوقه القلب غير طعم الركوع وحاله، وهو ركنٌ مقصود لذاته كركن الركوع والسجود سواء، ولهذا كان رسول الله ﷺ يُطيله كما يطيل الركوع والسجود، ويُكثر فيه من الثناء والحمد والتمجيد، ويقول فيه:

«**ربنا ولك الحمد ملء السماوات وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»[1].

(١) صحيح: رواه مسلم وأبو عوانة عن أبي سعيد الخدري كما في صفة صلاة النبي ١/ ١٣٧.

«**ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما**»: أي ملء العالم العلوي والسفلي والفضاء الذي يملأ ما بينهما، فهو ليس أي حمد بل حمد يملأ الكون والوجود.

«**وملء ما شئت من شيء بعد**»: وهذا يشمل ما فوق تصورات العقل وإدراكاته مما فوق السماوات وتحت الأرض، ويشمل كذلك الخلق الذي سيخلقه الرب بعد ذلك، فحمده يملأ كل موجود وكل ما سيوجد، وهذه العبارة تشمل المكان والزمان؛ المكان الموجود الآن والزمان المستقبل.

«**أهل الثناء والمجد**»: لتعود إلى ما افتتحت به الصلاة من الحمد والثناء والمجد، لتستمر جرعات التعظيم تسري في قلبك لا تزول بل تتجدد مع تتابع أركان الصلاة حتى تبلغ ذروتها عند انقضاء الصلاة.

«**أحقُّ ما قال العبد**»: واعلم أن هذا الدعاء أصدق قول قاله العبد، وأحق قول نطق به البشر، فليس فيه ذرة واحدة من كذب أو زيف أو ادِّعاء، فهو سبحانه أحق من أُثني عليه، وأحق من مُجِّد، وأحق من استحق صفات التقديس والإجلال.

«**اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت**»: فاغرس في قلبك اليقين بأنه المتفرِّد بالمنع والعطاء، وأنه إذا أعطى لم تُطِق السماوات والأرض بمن فيهن أن تمنع عطاءه، وإذا منع لم تُطِق السماوات والأرض ومن فيهن إعطاء من منعه.



لأول مرة: أوقن بما قسمه الله لي، ويطمئن قلبي على رزقي وأجلي، فلا أقلق أو أضطرب، ولا أحقد على غيري أو أحسده، بل يمتلئ قلبي بالرضا والتسليم الذي غرفت منه حين نهلت من معين الصلاة.



«**ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»: أي لا ينفع عنده ولا يخلِّص من عذابه ولا يُدني من كرامته حظوظ بني آدم من الرئاسة والملك والغنى والسلطة والجاه، إنما ينفعهم التقرب إلى الله بطاعته وإيثار مرضاته فحسب.

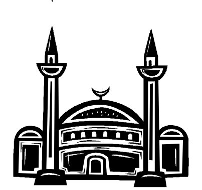
فعِش في أنوار هذا الدعاء، أو اختر الدعاء الذي تتسابق الملائكة في رفعه إلى الله جلَّ في علاه، فعن **رفاعة بن رافع الزرقي** ﷺ قال: كنا يوما نصلي وراء النبي ﷺ، فلما رفع رأسه من الركعة قال: سمع الله لمن حمده، قال رجل وراءه: **ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه**، فلما انصرف قال: من المتكلم، قال: أنا، قال: «**رأيت بضعة وثلاثين ملكًا يبتدرونها أيهم يكتبها أول**»[١].

يعني أن كل مَلَك منهم أسرع ليكتب هذه الكلمات قبل الآخر ويصعد بها إلى حضرة الله تعالى لعظم قدرها.

أو لك أن تختصر القول في قيامك بقولك:

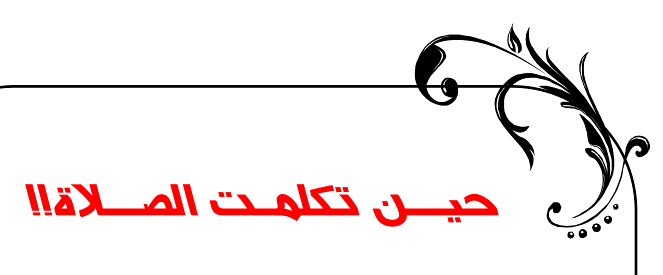
«**اللهم ربنا لك الحمد**»[٢].

فإن حدث ووافق حمدك حمد الملائكة من حولك فيا بشراك بمغفرة خطاياك. قال النبي ﷺ: «**إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده، فقولوا: اللهم ربنا لك الحمد، فإنه من وافق قوله قول الملائكة غُفر له ما تقدَّم من ذنبه**»[٣].



(١) صحيح: رواه البخاري ومالك والنسائي وأبو داود كما في صحيح الترغيب والترهيب رقم: ٥١٩.
(٢) صحيح: رواه مسلم وأحمد وأبوداود والنسائي عن أبي موسى كما في ص ج ص رقم: ٦٧٢.
(٣) صحيح: رواه الشيخان ومالك عن أبي هريرة كما في ص ج ص رقم: ٧٠٥.





حيـــن تكلمـت الصــلاة!!

- أنا هديتك التي أرسلت بها إلى ملك الملوك، فهل ترسل إلى ملك الملوك هدية فارغة؟! وهل تبعث إلى أغنى الأغنياء بسلة خاوية؟! أخي.. أنت وحدك من تملك حرية الاختيار في تحديد نوع هديتك وتجميلها أو تلطيخها، والله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وصلاة ليس فيها خشوع ليست من الطيب، فكيف تُقبل؟!
- أنا وصية رسول الله ﷺ لك وهو على فراش الموت، وأنا عهده إليك، فهل نفَّذت وصيته؟! وهل رعيت ذمته؟! وهل وضعت في قائمة أعمالك وجدول أولوياتك الاستعداد لليوم الذي يلقاك فيه فيسألك عن ما فعلـت من بعـده؟!
- أنا صِلتك التي تصلك بربك ومع ذلك ضيَّعتني وأهنتني وما عرفت قدري ولا مكانتي؛ بل تركتني وسهوت.. أنا الحبل الذي يربطك بالجنة ولولاي لضللت الطريق عنها؛ ومع ذلك هجرتني ولهوت.
- أنـا أول سـؤال من أسئلـة حسابـك يـوم الجـزاء، فإن عجـزت عن إجابتـه أو أسـأت في إجابتـه هلكـت، وما نفعـك بـاقي صالـح الأعـمال ولـو كـان كالجبـال.
- أنا المنافحة عنك في ظلمة القبر، أنا التي ترد عنك ملائكة العذاب وسوء الحساب، أنا خير حارس لك؛ فأصلح ما بيني وبينك حتى أصدق في حمايتك، ولك مطلق الحرية: إن أحسنت فلنفسك وإن أسأت فعليها.

- أنا شارة القرب من الله، وإذا كانت الملوك تعِد من أرضاها بالأجر والقرب، كما قال السحرة لفرعون: ﴿ **إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ** ﴾ [الشعراء:٤١]، فأجابهم: ﴿ **نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ** ﴾ [الأعراف:١١٤]، فما ظنك بكرم الله وهو الخالق جل في علاه؟!
- أنا نهرك الذي تغتسل به كل يوم خمس مرات ليُطهِّرك من الموبقات، فإذا اتَّسخْتَ بذنوبك وتدنَّست بغفلاتك، فصدِّقني!! ليس لك غيري يغسلك ويُزكِّيك، ويُعيد إليك سابق طُهرك ويُنقِّيك.
- أنا عماد الدين، والعمود الفاصل بين الإسلام والكفر، وقد قدَّمني ربي على سائر العبادات، وأوجب قتل من هجرني، فهل تظن كل هذه العظمة لي من تحريك اللسان دون مشاركة القلب؟! وصلاح الظاهر دون الباطن؟! وأي معنى لتحريك لسانك إذا مات قلبك؟!
- أنا غذاء القلب، وقلبك إذا خلا من الغذاء الرباني من ذكر الله ومعرفته وحبه يَبس، وإذا يبس القلب ضربته نار الهوى وحرارة الشهوة فازداد قساوة وغلظة، وعندها تيبس الجوارح تبعًا ليبوسة القلب؛ وتمتنع أغصان الجوارح عن الامتداد نحو القُرُبات إذا مددتها، والانقياد لك إذا قُدتها، فلا تصلح بعدُ هي والقلب الذي يقودها إلا للنار ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ** ﴾ [الزمر:٢٢].
- أنا إحدى أهم وقفتين تقفهما بين يدي مولاك: موقف الصلاة وموقف القيامة، فإن أحسنت في الأولى هانت عليك الثانية، وإلا.. فالموقف أهول من أن يوصف.

ثم كبِّر الله وخرَّ له ساجدًا، ولا ترفع يديك وأنت تسجد، لأن اليدين ينحطان للسجود كما ينحط الوجه، فلما هبطا لعبوديتها؛ أغنى ذلك عن رفعها، ولذلك لم يُشرع رفعها عند القيام من السجود، لأنها يُرفعان معه كما يوضعان معه.

والسجود أبلغ هيئات العبودية، وتأمَّل الحكمة في أمرك بالسجود إذ أمرك الله بالسجود خشوعًا وتذللاً بين يديه، ليردك بذلك إلى أصل العبودية وأعلى درجات الاستكانة إن كانت قد سرت فيك نزعة كبر أو نفخة استعلاء.

ويكفي السجود شرفًا أن الله جعل علامته في أشرف أعضاء الإنسان وهو الوجه حين قال: ﴿**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾ [الفتح:٢٩]، وقد فسَّر **مجاهد** هذه العلامة بأنها الخشوع، وفسَّرها غيره بأثر الخشوع وهو النور والبهاء الذي يعلو وجوه الساجدين.

ويكفي السجود فضلا أن النبي ﷺ يعرف أمته يوم القيامة بكونهم غرًا من أثر السجود[1] أي بيض الوجوه منه، فمن كان أكثر سجودًا في الدنيا كان وجهه أعظم ضياء وأشد إشراقًا من غيره يوم القيامة، فيتعرَّف عليه النبي ﷺ أسرع من غيره، وقد سجدت الأمم من قبلنا فلم يظهر على جباههم شيء، فتلك علامة مميِّزة لهذه الأمة في موقف الحشر تُعرف بها بين الأمم.

---

(١) عن **عبد الله بن بسر المازني** عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما من أمتي من أحد ألا وأنا أعرفه يوم القيامة**». قالوا: وكيف تعرفهم يا رسول الله في كثرة الخلائق؟! قال: «**أرأيت لو دخلتَ صبرة فيها خيل دهم بهم، وفيها فرس أغر مُحجَّل، أما كنت تعرفه منها؟**»، قال: بلى. قال: «**فإن أمتي يومئذ غُرٌّ من السجود، مُحَجَّلون من الوضوء**». قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.



ويكفي السجـود كرمــًا أن الله حـرَّم على النـار أن تأكـل مـن ابـــن آدم أثــر السجـــــود.

وظائف السجود الستـــــة

١) الـــذل والافتقـــــار:

مكِّن أعز أعضائك وهو الوجه من أذل الأشياء وهو الـتراب، لتتـدارك ما نزل بك مـن الهفـوة والغفلـة والإعـراض الذي خـرج بـك عن أصـلك يا ابــن الــتراب.

وأقرب باب يدخل منه العبد على الله تعالى هو الإفلاس، فلا يرى لنفسه حالا ولا مقاما يمنُّ بها على ربه أو يتطاول بها على خلقه، بل يدخل على الله تعالى من باب الافتقار الصِّرف والإفلاس المحض؛ دخول من كسر الفقر والمسكنة قلبه حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويدائه فانصدع، وشملته الكسرة من كل جهاته، وشهد أن في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة وضرورة كاملة إلى ربه تبارك وتعالى، وأنه إن تخلى عنه الله طرفة عين هلك وخسر خسارة لا تُجبَر إلا أن يعود إلى مولاه ليتداركه برحمته.

وإن أمكنك أن لا تجعل بينك وبين الأرض حائلا فتسجد على الأرض مباشرة فافعل، فإن ذلك أجلب للخشوع وأدلُّ على الذل، وقد كان النبي  لا يتقي بوجهه الأرض قصدًا بل يسجد عليها بلا حائل، ولذا سجد في الماء والطين مبالغة في التواضع والتذلل لله، فإذا اتفق لك ذلك فافعل، وتيقَّن أن الأرض سترد إليك يومًا ما هذا الجميل كما حكى ذلك **عطاء الخراساني**: «ما من

عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت».

وأعط كل عضو من أعضائك حظَّه من الذل والعبودية، فضع رأسك بالأرض بين يدي ربك، راغمًا له أنفك، معفِّرًا وجهك، وقد سجد معه أنفك، ويداك، وركبتاك، ورجلاك.

وارفع بطنك عن فخذيك، وفخذيك عن ساقيك، وعَضُديك عن جنبيك، ولا تضعهما على الأرض[1] ليستقل كل عضو من أعضائك بالعبودية، ويأخذ كل جزءٍ منك حظّه من الخضوع لا أن يحمل بعضهم بعضًا، وبهذا تبلغ غاية خشوع الظاهر.

عبور الحدود

وهو افتقار يتجاوز حدود الصلاة إلى ما بعد الصلاة ليغمر جميع لحظات حياتك وسائر نشاطاتك كما تمنى ذلك الإمام **ابن القيم** وهو يصف الدرجة الأسمى والقمة العظمى من الافتقار إلى الله الغني المتعال فقال:

«يتخلى بفقره أن يتألَّه غير مولاه الحق، وأن يُضيع أنفاسه في غير مرضاته، وأن يفرِّق همومه في غير محابِّه، وأن يؤثر عليه في حال من الأحوال، فيوجب له هذا الخُلُق وهذه المعاملة صفاء العبودية، وعمارة السر بينه وبين الله، وخلوص الود، فيصبح ويمسي ولا همَّ له غير ربه، فقد قطع همُّه بربه عنه جميع الهموم، وعطَّلت إرادته جميع الإرادات، ونسخت محبته له من قلبه كل محبةٍ لسواه».

(١) نهى النبي ﷺ عن افتراش السَّبُع والكلب: أي أن يبسط المرء ذراعيه على الأرض ولا يرفعهما عند السجود كما يفرش السَّبُع والكلب ذراعيها.



سجود القلب

وبقي خشوع الباطن، فلابد من مطابقة قلبك لخشوع جسدك، وكما سجد الجسد فليسجد القلب في أثره، فكن متذلِّلاً لعظمة ربك، خاضعًا لعزَّته، منيبًا إليه، مستكينًا ذلاً وخضوعًا وانكسارًا.

ولما كان سجود القلب هو خضوعه التام لربّه أمكنك استدامة هذا السجود إلى يوم القيامة، كما قيل لبعض السلف: هل يسجد القلب؟!

قال: أي والله!! سجدة لا يرفع رأسه منها حتى يلقى الله.

ولما كانت أحب العبادات إلى الله الذل والافتقار، وهي أوضح ما تكون أثناء السجود، كانت مناسبًا أن تكون الوظيفة الثانية من وظائف السجود هي:

٢) القــــرب القــــرب:

واستشعر في سجدة أخرى لذة القرب من الرب الجليل، ولن تقترب منه في وقت من الأوقات كوقت السجود، لذا قال الله لنبيه ﷺ: ﴿ **وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب** ﴾ [العلق:١٩].

وكلما طال سجودك كلما طال موعد لقائك وفرصة قُرْبك ولذة وصلك مع رب كريم، ومن منا لا يخفق قلبه لقرب الحبيب؟!

لعل هذا هو السر في الراحة القلبية العظيمة والسكينة الروحية العالية التي يجدها الساجد في سجوده(١)، ويحس بها إذا أطال فيه، وبسبب هذا

(١) أوضحت واحدة من أحدث الدراسات العلمية أن الإنسان يتعرض لجرعات زائدة من الإشعاع ويعيش وسط مجالات كهرومغناطيسية مما يشوِّش على الخلايا ويفسد عملها، ويؤدي إلى العديد ==

القرب يستجيب الله على الفور دعاء من يدعوه على هذه الحال، وهذه هي الوظيفة الثالثة:

٣) دعـــوة الملهـــوف:

وفي سجدة ثالثة بث إليه شكواك وارفع إليه حاجتك وتوسَّل إليه أن يؤيدك ويقف بجانبك، لقول النبي ﷺ: «**وأمَّا السُّجُودُ فاجْتَهِدُوا في الدُّعاء، فقَمِنٌ أن يُستجاب لكم**»[١].

قمنٌ: حقيق وجدير، فادعُ الله بحاجتك، وقدِّم ما تريد من دنيا أو آخرة ربك، ولك الوعد بالإجابة على لسان نبيك ﷺ في الحديث الذي مرَّ بك.

وفي الحديث أيضًا:

«**أقربُ ما يكونُ العبدُ من ربِّه وهو ساجدٌ، فأكثروا الدعاء**»[٢].

ومن منا يعيش بلا منغِّصات من ذنب يؤرِّقه، أو زوجة تضايقه، أو ولد يعقه، أو رزق يعسر عليه، أو رئيس عمل يشاكسه، أو جار يؤذيه، أو مرض يُضنيه مما يدفع العبد إلى الدعاء دفعًا.

== من أمراض العصر، فيأتي السجود بمثابة وصلة أرضية لتفريغ الشحنات الزائدة بوصل الجبهة بالأرض، ووُجد أنه كلما قلَّ المحور الطولي للإنسان كلما قلَّ تعرضه للمجالات الكهرومغناطيسية وهو ما يحدث أيضا أثناء السجود، وأوضحت تلك الدراسة أن الاتجاه إلى مكة في السجود هو أفضل وضع لتفريغ الشحنات بفعل الاتجاه إلى مركز الأرض، الأمر الذي يخلص الإنسان من همومه ليشعر بعدها بالراحة النفسية العميقة، وقد حكى الأستاذ **عبد الحليم خفاجي** أن رجلاً ألمانيا أسلم لأنه رأى المسلمين يسجدون في الصلاة، فسأل عن هذه الهيئة التي كان كان كلما أراد الاسترخاء هوى إلى الأرض على هيئة السجود، فلما رأى المسلمين يصلون بنفس الهيئة سأل عن الإسلام حتى هداه الله إليه فأسلم.

(١) صحيح: رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة كما في صحيح الجامع رقم: ٢٧٤٦.

(٢) صحيح: رواه مسلم وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ١١٧٥.



ولا تكن أنانيا في دعائك بل ادعُ لإخوانك وأشركهم في رجائك، وقلِّد **أبا الدرداء** ﷺ الذي قال: «إني لأدعو لثلاثين من إخواني وأنا ساجد، أسميهم بأسمائهم وأسماء آبائهم».

وإياك أن تعوق الإجابة بيأسك من الإجابة، وافرح ببشرى الإمام الحافظ **سفيان بن عيينة**: «لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه، فإن الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق إبليس لعنه الله؛ إذ قال: رب أنظرني إلى يوم يبعثون، قال: إنك من المنظرين».

لأول مرة

لأول مرة: أطيل قرع باب الله في طلب حاجاتي وحل مشاكلي وبث همومي، وكلما أطلت وجدت من الراحة ما يشرح الصدر ويسُرُّ القلب..

ولأول مرة كذلك أذكر غيري في صلاتي، فأدعو للمسلمين المستضعفين في فلسطين ولبنان وغيرهما من البلدان، وأخصص لهم صلوات كاملة أخصهم فيها بوافر الدعاء.

٤) الحط من الأوزار:

وأحسَّ في سجدة رابعة أن ذنوبك موضوعة فوق رأسك وأنت ساجد، وكلما خشعت في سجودك، وكلما بكيت في خشوعك، وكلما صدقت في بكائك؛ كلما تساقطت عنك الذنوب ذنبًا ذنبًا؛ حتى ترفع رأسك من سجدتك بغير الوجه الذي سجدت به.

قال رسول الله ﷺ: «**إن العبد إذا قام يصلي أُتِي بذنوبه كلها، فوُضِعت على رأسه وعاتقيه، فكلما ركع أو سجد تساقطت عنه**»[1].

---

(١) صحيح: رواه الطبراني وأبو نعيم والبيهقي عن ابن عمر كما في صحيح الجامع رقم: ١٦٧١.

وغنيٌّ عن القول أنه كلما زادت ذنوبك وجب أن يطول سجودك، والدموع الغزيرة تمحو ما اسودَّ من القلب بسبب الذنوب الكثيرة.

٥) العـــزة والفخـــار:

واستشعر في سجود خامس روح العزة وأنت لا تحني هامتك لأحد إلا لله، ولا تذل إلا لله، ولا تستعين ولا تتوكَّل إلا عليه، وتعلَّم من الإمام **أحمد** وهو يدعو بقوله: «اللهم كما صُنت وجهي عن السجود لغيرك فصُنه عن المسألة من غيرك».

لأول مرة **لأول مرة: أراجع نفسي حين أطلب شيئًا من غيري، وأصون وجهي عن الإلحاح في سؤال الخلق عن ما قسمه الله لي، وأكتسي ثوب العزة، موجهًا رسائل الطلب إلى الخالق بدلاً من الخلق.**



٦) عبوديـــة المراغمـــة:

وفي سجدة سادسة امتلئ بنشوة الانتصار ولذة الظفر وأنت تقهر عدوك، واسمع وأنت ساجد صوت شيطانك وهو يبكي منتحبًا في ناحية مصلاك قائلاً: «**يا ويله، أُمِر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأُمِرتُ بالسجود فعصيتُ فلي النـار**»[1].

وليس أحب إلى الله من عبودية المراغمة، وهي إرغام أنف عدوه في التراب، وليس أعدى له من عدوه إبليس، لذا عظم قدر السجود عنده وقُرِّب من يفعله.

---

(١) صحيح: رواه أحمد ومسلم وابن ماجة عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٧٢٧.

وكرِّر هذه الوظائف الستة في الصلاة الواحدة أو اجعل لكل صلاة وظيفة من هذه الوظائف، وبذلك تهتدي راشدًا كلما هويت ساجدًا، وتُشفى سريعًا كلما دعوت طويلاً.

ولمعرفته بفضائل السجود العظيمة ووظائفه الجليلة قال **مسروق لسعيد بن جبير**: «ما بقي شيء يُرغب فيه إلا أن نعفِّر وجوهنا في هذا التراب له».

وتعلَّم **سعيد** الدرس فكان كثيرًا ما يقول: «ما آسى على شيء من الدنيا إلا على السجود».

أذكار السجود

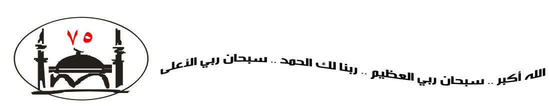
إن إطالة السجود كان سمت النبي ﷺ حيث كان سجوده مقدار قراءة خمسين آية، وكان ﷺ يقول: «**إذا صلى أحدكم فليتم ركوعه، ولا ينقر في سجوده، فإنما مثل ذلك كمثل الجائع يأكل التمرة والتمرتين، فماذا يغنيان عنه؟**»[١].

وكما لا تغني الجائعَ اللقمة واللقمتان فلا يشبع، فكذلك المستعجل الذي لا يملك وقتا لصلاته لن يشعر بطعم الصلاة، ولن يحس لها بحلاوة، وسيفقد الإحساس بلذتها، بل وربما انقلب إحساسه إلى ضيق بالصلاة وكسل عنها.

ولذا نهى النبي ﷺ في السجود عن نقرة الغراب، ونقرة الغراب أي ما يعادل زمن وضع الغراب منقاره ليأكل، والمقصود: المبالغة في تخفيف السجود، وأنه لا يمكث فيه إلا قدر وضع الغراب منقاره فيما يريد أكله.

---

(١) حسن: رواه تمام بن عساكر عن أبي عبد الله الأشعري كما في صحيح الجامع رقم: ٦٤٩.



وقد أشار النبي ﷺ إلى سرعة الركوع والسجود ذامًا محذِّرا قائلاً: «**لا تُجزِئ صلاة لا يقيم الرجل فيها صُلبه في الركوع والسجود**»[(١)].

وحين لمح رجلاً لا يُقِرُّ صلبه في الركوع والسجود، قال جازمًا منذرًا: «**إنه لا صلاة لمن لم يُقِمْ صُلبه**»[(٢)].

والآن .. حان الوقت لنعيش مع سجدات النبوة ونستنشق عبيرها ونعرف: ماذا كان النبي ﷺ يقول في سجوده؟!

١) «**سبحان ربي الأعلى**»:

ووصفك الرب بالعلو في هذه الحال في غاية المناسبة لحالك، لأنك قد هويت إلى أسفل على وجهك، فذكرت علو ربك في حال سقوطك، كما سبق وأن ذكرت حال ربك حال خضوعك في ركوعك، وناسب عندها أن تنزِّه ربك عما لا يليق به مما يضاد عظمته وعلوه.

٢) «**اللهم اغفر لي ذنبي كله، دِقَّه وجِلَّه، وأوله وآخره، وعلانيته وسِرَّه**».

٣) «**اللهم اغفر لي خطئي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي جدي وهزلي، وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخَّرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهي لا إله إلا أنت**».

فردِّد هذين الدعاءين في سجدة ندم، تؤكِّد فيها توبتك التي سبق أن أعلنتها في دعاء الاستفتاح وتجدِّدها، وتتذكَّر فيها إسرافك على نفسك لتذرف الدموع الغزار، وذكر ماضي العصيان للتأسف عليه: ندم، والندم توبة، ومن دخل عليه تائبا خرج من بيته نقيًا طاهرًا.

---

(١) صحيح ابن حبان رقم: ١٨٩٢. قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرطها.
(٢) صحيح: صحيح ابن حبان رقم: ١٨٩١. قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.



وتذكر سرائرك التي خنت فيها عهدك مع الله، وتذكَّر مزاحك الذي استزلك فيه الشيطان فكذبت فيه، وتذكَّر ما وقع ذلك منك على سبيل الخطأ أو العمد، وتأمَّل أن النبي ﷺ ردَّد هذين الدعاءين في سجوده مع أنه مغفور له، وذلك من باب العبودية والإذعان والافتقار إلى الله تعالى فتمثَّل كل هذه المعاني في سجودك، واعلم أن مفتاح الإجابة: الصدق في الإنابة.

ومما يجعل قلبك أكثر حضورًا وروحك أكثر حياة: الحياء الذي يوصلك إليه دعاء:

٤) **«اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوَّره، فأحسن صوره، وشقَّ سمعه وبصره، فتبارك الله أحسن الخالقين»**.

فردِّد هذا الدعاء في نوبة حياء تعتريك من توالي نعم الله عليك مع توالي عصيانك له، وتتابع إحسانه مع تتابع إساءاتك، لتتحوَّل هذه السجدة إلى سجدة حب بين يدي مولاك، وهذا الذكر يدفعك إلى التلذذ بالسجود والإطالة فيه، حين تذكر نعمة الله عليك وقد شق لك سمعك وبصرك وصوَّرك في أحسن صورة، وتأمَّل حالك إن عشت في عالم من الظلام الدامس ساعة من النهار كما يعيش العُميان، أو توهَّم العيش في عالم الصمت الرهيب برهة من الزمن كالصم لتدرك قيمة نعمة الله عليك.

٥) **«اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»**[1].

(١) صحيح: رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها، كما في صحيح الجامع رقم: ١٢٨٠، ومناسبته ما يلي: عن عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت رسول الله ﷺ ذات ليلة فالتمسته، فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد، فإذا هو ساجد وقدماه منصوبتان وهو يقول: «**أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**».



والرضا والسخط ضدان متقابلان، وكذلك المعافاة والعقوبة، حتى إذا وصلت إلى ذكر مالا ضد له وهو الله سبحانه وتعالى استعذت به منه لا غير، ومعنى هذا الدعاء: الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادة الله والثناء عليه.

ومدحك له بقولك: «**لا أحصي ثناء عليك**»: أي لا أطيقه ولا أحيط به. وقولك: «**أنت كما أثنيت على نفسك**» ما هو غير اعتراف منك بالعجز عن الثناء على ربك، وأنك لا تقدر على بلوغ حقيقته مهما حاولت، وكلما كان ظهور العجز أبين كلما كان العطاء أوسع والكرم أوفر، هذا مع الخلق فكيف مع الخالق؟!

ولأنه لا نهاية لصفاته؛ فكذلك لا نهاية للثناء عليه؛ وكل ثناء أُثني به عليه وإن كثر وطال وبولغ فيه فقدر الله أعظم منه.

إشراقة سجودية

- قال **أبو الدرداء** ﷺ: أدلجتُ ذات ليلة إلى المسجد، فلما دخلتُ مررت على رجل ساجد وهو يقول: «اللهم إني خائف مستجير فأجرني من عذابك، وسائل فقير فارزقني من فضلك، لا مذنب فأعتذر، ولا ذو قوة فأنتصر، ولكن مذنب مستغفر»، فأصبح **أبو الدرداء** يُعلِّمُهن أصحابه إعجابًا بهن.
- كان **عبد الأعلى التيمي** يقول في سجوده: «رب زدني لك خشوعًا كما زاد أعداؤك لك نفورًا، ولا تكُبَّن وجوهنا في النار من بعد السجود لك».
- وكان **معضد العجلي** يقول في سجوده: «اللهم اشفني من النوم باليسير»، ثم يمضي في صلاته.
- وكان **مسلم بن يسار** يقول في سجوده: «متى ألقاك وأنت عني راض»، ويذهب في الدعاء، ثم يقول: «متى ألقاك وأنت عني راض».



- وكان **عتبة الغلام** يدعو بالشهادة في سجوده ويقول: «اللهم احشر **عتبة** بين حواصل الطير وبطون السباع».
- ودخل الإمام **موسى الكاظم** مسجد رسول الله ﷺ فسجد سجدة في أول الليل، فسُمِع وهو يقول: «عظُم الذنب عندي فليحسن العفو من عندك يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة»، فجعل يردِّدُها حتى أصبح.
- وذكر الشيخ **أبو شامة** أن إمام مسجد **أبي الدرداء** بالقلعة المنصورة رأى في تلك الليلة التي أجلي فيها الفرنج عن دمياط رسول الله ﷺ وهو يقول: سلِّم على **نور الدين**، وبشِّره بأن الفرنج قد رحلوا عن دمياط، فقلت: يا رسول الله**!!** بأي علامة؟**!** فقال: بعلامة ما سجد يوم تل حارم، وقال في سجوده: «اللهم انصر دينك، ولا تنصر محمودًا، ومن هو **محمود** الكلب حتى يُنصر؟**!**» فلما صلى **نور الدين** عنده الصبح بشَّره بذلك، وأخبره بالعلامة، فلما جاء إلى ذكر «من هو **محمود** الكلب» انقبض من قول ذلك، فقال له **نور الدين**: قل ما أمرك به رسول الله ﷺ، فلما قال العلامة كاملة قال: صدقت، وبكى **نور الدين** تصديقًا وفرحًا بذلك، ثم أصبحوا فجاءت الرسل، فإذا الأمر كما أُخبر الرجل في المنام.



ثم ارفع رأسك من سجودك، واعتدل جالسًا، وتأمَّل الحكمة من كون هذا الجلوس محفوفًا بسجودين؛ سجود قبله، وسجود بعده، مما يدل على عظيم شأنه، وقد كان رسول الله ﷺ يُطيل الجلوس بين السجدتين لما له من طعم خاص



ومذاق مختلف للقلب غير طعم ومذاق الركوع والسجود؛ حتى روى الشيخان من حديث **البراء** ﷺ: «كان ركوع النبي ﷺ وسجوده، وبين السجدتين، وإذا رفع رأسه من الركوع، ما خلا القيام والقعود، قريبـًا من السواء»[(١)].

وكان الرسول ﷺ يقول في هذه الجلسة: «**اللهم اغفر لي وارحمني وعافني واهدني وارزقني**»[(٢)].

وهذه الكلمات الخمسة قد جمعت جماع خير الدنيا والآخرة، فإن العبد محتاج بل مضطر إلى تحصيل مصالحه في الدنيا والآخرة، ودفع المضار عنه في الدنيا والآخرة، وقد تضمّن هذا الدعاء ذلك كله.

- فإن الرزق يجلب له مصالح دنياه.
- والعافية تدفع مضارّها.
- والهداية تجلب له مصالح أخراه.
- والمغفرة تدفع مضارّها.
- والرحمة تجمع ذلك كلّه.

ومن باب التنويع، فإليك روحًا أخرى يمكن أن تردِّد بها هذا الدعاء، وهي روح المذنب المقصِّر في حق مولاه والمتمادي في جرائمه معه، فتفصح عن رغبتك الأكيدة في أن يغفر لك، ثم تدعوه أن يعافيك مما ابتلاك به من ذنب، وأن يهديك إلى طريق الهداية الدائم الذي لا رجعة فيه ولا نكوص، وأن يرزقك على الدوام من حلاوة الطاعة الدائمة ما تستغني به عن لذة المعصية الزائلة، وييسِّر لك

(١) صحيح: رواه الشيخان عن البراء كما في اللؤلؤ والمرجان رقم: ٢٧٢.
(٢) حسن: رواه أبو داود عن ابن عباس كما في صحيح أبي داود رقم: ٧٥٦.



الحلال الذي ترمي به الحرام وراء ظهرك، فالرزق هنا هو الرزق الروحي والثروة الإيمانية، وليس راتب شهر أو شهرين أو مئونة سنة أو سنتين.

ولو لم تخرج من صلاتك كلها بغير إجابة هذا الدعاء لكفاك وفضل عليك، وإن كنت لا تستطيع اليوم حفظ كثير الدعاء وتشكو سرعة النسيان، ولا تحسن دندنة **معاذ** فالزم هذا الدعاء الأخَّاذ. روى **أبو مالك سعد بن طارق** عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ وقد أتاه رجل، فقال: يا رسول الله**!!** كيف أقول حين أسأل ربي؟**!** قال: «**قل: اللهم اغفر لي وارحمني وعافني وارزقني**»، وجمع أصابعه الأربعة إلا الإبهام، «**فإن هؤلاء يجمعن لك دينك ودنياك**»(١).

الاستغفار بين السجدتين

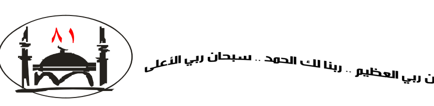
وقد كان النبي ﷺ يكرِّر الاستغفار في هذه الجلسة فيقول بين السجدتين: «**رب اغفر لي، رب اغفر لي، رب اغفر لي**»(٢)، ويلِحُّ على الله في ذلك.

ومثِّل نفسك أنك وُقِفتَ للحساب، وسيقام عليك الحد الآن إن لم يغفر الله لك، بل أن من يقام عليه الحد في الدنيا أفضل ممن لم يغفر الله له، لأن من يُقام عليه الحد في الدنيا ينجو من عذاب الله يوم القيامة، أما من لم يُغفر له فالويل كل الويل ينتظره يوم القيامة.

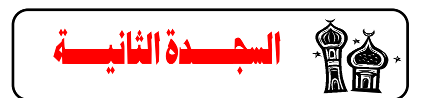
وتخيَّل نفسك أيها المصلي أنك تجلس جاثيًا على ركبتيك تنتظر أن تُضرب عنقك عقابًا لك على جرائمك في حق مولاك، ثم لاحت لك فرصة عفو، فاغتنمتها وألقيت بنفسك بين يديه، معتذرا له مما جنيت، تطلب منه المهلة الأخيرة وتدعوه دعاء الغريق: **رب اغفر لي.. رب اغفر لي.. رب اغفر لي.**

---

(١) صحيح: الصحيحة رقم: ١٣١٨ وصحيح ابن ماجة رقم: ٣١١٥ وأخرجه مسلم.
(٢) صحيح: رواه ابن ماجة والنسائي كما في صحيح ابن ماجة رقم: ٧٣١، والإرواء رقم: ٣٣٥.



لأول مرة: أراجع شريط ذكرياتي، وأتذكر سوابق ذنوبي من نظرة محرمة، أو لقمة حرام أو شبهة حرام، أو سهو عن صلاة، أو وقوع في عرض مسلم، أو ظلم لزوج، أو رفع صوت على أم، ثم أكرِّر الدعاء بالمغفرة ثلاثًا تأكيدًا لربي على طلب العفو، وتذكيرًا لنفسي بضرورة الصدق في الطلب، وتصميمًا مني على بلوغ المغفرة، ثم مع كل هذا .. تفاؤلاً بالإجابة.

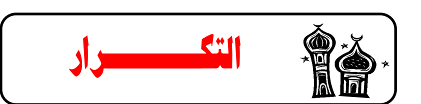


ثم ارجع ساجدًا كما كنت، فإنك لا تكتفِي من الله بسجدة واحدة في الركعة كما اكتفيت منه بركوع واحد؛ بل لا بد من مضاعفة الجرعة، وذلك لفضل السجود وشرفه وقرب العبد فيه من ربِّه، وهو أكثر تعبيرًا عن العبودية وأعرق فيها من غيره من أركان الصلاة؛ ولهذا جُعل خاتمة الركعة، وما قبله كالمقدمة بين يديه، فمحلّه من الصلاة محل الطواف.

وكما أنه أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فكذلك أقرب ما يكون منه في المناسك وهو طائف كما قال **عبد الله بن عمر** ﷺ لمن خطب ابنته وهو في الطواف فلم يرد عليه فلما فرغ من الطواف قال: "أتذكر أمرًا من أمور الدنيا ونحن نتراءى لله سبحانه وتعالى في طوافنا؟!".

ولهذا – والله أعلم – جُعل الركوع قبل السجود تدريجًا وانتقالاً من الشيء إلى ما هو أعلى منه.





التكـــــرار

ثم كرِّر ما مررت به من الأفعال والأقوال من القراءة والركوع والاعتدال من الركوع والسجود؛ إذ هي غذاء القلب والروح التي لا قوام لهما إلا بها، لذا فتكريرها بمنزلة تكرير الأكل لقمة بعد لقمة حتى تشبع، والشرب نفسًا بعد نفس حتى تُروى، فلو تناولت لقمة واحدة، ثم دُفع الطعام من بين يديك فماذا كانت تُغني عنك تلك اللقمة؟ بل ربما فتحت عليك باب الجوع أكثر مما بك.

وفي إعادة كل قول أو فعل مزيد من العبودية والقرب، وحصول مزيد خير وإيمان ومعرفة وإقبال، وقوة قلب وانشراح صدر، وزوال درن ووسخ عن القلب، وهو بمنزلة غسل الثوب مرَّة بعد مرَّة.

وفيه كذلك تنزيل الركعة الثانية منزلة الشكر على الركعة الأولى.

وفيه كذلك تدارك ما فاتك في الركعة الأولى عن طريق الركعة الثانية، وبالركعة الثالثة والرابعة ما فاتك من أول الصلاة، واخش أن تكون ممن عناهم نبيك  بقوله:

«**إن الرجل ليصلي ستين سنة وما تُقبل له صلاة، ولعله يُتِم الركوع ولا يُتِم السجود، ويُتِم السجود ولا يُتِم الركوع**»[1].

فهذه حكمة الله التي بَهَرت العقول حكمته في خلقه وأمره، ودلَّت على كمال رحمته ولطفه، وما لم تُحِط به علمًا من الصلاة أعلى وأعظم وأكبر، وإنما هذا يسير من كثير منها!!

(١) حسن: حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: ٢٥٣٥.



الجلوس للتشهد ومعنى التحيات

عن **عبد الله بن مسعود** ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعطيت فواتح الكلم وخواتمه**». قلنا: يا رسول الله.. علِّمنا مما علمك الله عز وجل، فعلَّمنا التشهد[1].

وقال **ابن مسعود** ﷺ كذلك: كان ﷺ يُعَلِّمنا التشهد كما يُعَلِّمنا السُّورةَ من القُرآن.

فاستشعر مكانة التشهد وشرفه، واعلم الحكمة منه، ذلك أنه من عادة الملوك أن يحييهم الناس بأنواع التحيات من الأفعال والأقوال المتضمنة للخضوع لهم والذل.

فمنهم من يُحيًّا بالسجود.

ومنهم من يُحيًّا بالثناء عليه.

ومنهم من يُحيًّا بطلب البقاء والدوام له.

ومنهم من يُجمع له ذلك كلّه فيُسجد له، ثم يُثنى عليه، ويُدعى له بالبقاء والدوام.

والتحيات جمع تحية، وأصلها من الحياة، والمطلوب لمن تحيًّا بها دوام الحياة، كما كانوا يقولون لملوكهم: لك الحياة الباقية، ولك الحياة الدائمة، واشتق منها: أدام الله أيامك، وأطال الله بقاءك، ونحو ذلك مما يُراد به دوام الحياة والملك.

والله وحده هو الذي كل شيء هالك إلا وجهه، فهو أولى بالتحيات من كل هؤلاء، وهي له بالحقيقة وهو أهلها، فكل تحية تحيًّا بها ملك من سجود أو ثناء أو

(١) صحيح: رواه أحمد عن ابن مسعود، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: ١٤٨٣.



بقاء أو دوام فهي لله على الحقيقة؛ و لهذا أُتِي بها معرَّفة بالألف واللام إرادة للعموم، ومع هذا يخشع الناس عند تحية ملوك البشر أكثر مما يخشعون لتحية ملك الملوك ورب البشر!!

والتحيات لله كذلك أَي السلام له من جميع الآفات التي تلحق العباد من العناء وسائر أَسباب الفناء، ومن سَلِمَ من الآفات فهو باقٍ لا يموت أَبدًا، وذلك جميعه لا ينبغي إلا لله الحي القيوم الذي لا يموت، الذي كل مَلكٍ سواه يموت، وكل مُلك سوى مُلكه يزول.

الصلـــــوات والطيبـــــــات

ثم اعطف عليها الصلوات، فالتحيات له مُلكا، والصلوات له عبودية، والتحيات لا تكون إلا لله، والصلوات لا تنبغي إلا لله، ثم اعطف على الصلوات: الطيِّبات، وهي تتناول: الوصف والكلام والفعل.

فأما الوصفُ: فإنه سبحانه طيِّب لا يقبل إلا طيّبًا؛ وأفعاله كلها طيبة، وصفاته أطيب شيء، وهو إله الطيبين وربهم، وجيرانه في دار كرامته هم الطيبون، ولا يُقرِّب منه إلا كل طيِّب، بل ما طاب شيء قط إلا بطيبته سبحانه، فطيب كل ما سواه من آثار طيبته سبحانه، وكلّ مضاف إليه كبيته، وعبده، وروحه، وناقته، وجنته هو طيب.

وكلامه طيِّبٌ، وكلامه يتضمَّن تسبيحه، وتحميده، وتكبيره، وتمجيده، والثناء عليه بآلائه وأوصافه؛ ومن أمثلة هذه الكلمات الطيبات التي يُثْنى عليه بها؛ والتي لا تجوز معانيها إلا له وحده لا شريك له: سبحانك اللهمَّ وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك.



وسبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

وسبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

وفعله كلّه طيب، ولا يصدر منه إلا كل طيِّب، ولا يُضاف إليه إلا الطيِّب، ولا يصعد إليه إلا الطَّيب.

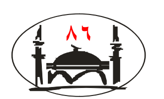
وقد يُقصد بالطيبات كذلك: التنبيه على الإخلاص في العبادة وكونها كاملة خالصة عن الشوائب، أي أن ذلك لا يُفعل ويكون إلا لله.

أو يُقصد كذلك أن التحيات: العبادات القولية، والصلوات: العبادات الفعلية، والطيبات: الصدقات المالية.

ثم سلِّم على سائر عباد الله الصالحين، وهم عباده الذين اصطفى، لتمتثل أمر الله لنبيه ﷺ: ﴿ **قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ** ﴾ [النمل:٥٩]، واستشعر عندها أن عليك في الصلاة حقًا للعباد مع حق الله، ذلك أن السلام دعاء، والله يطلب من المسلم أن يدعو في صلاته لصفوة خلقه، ويريد منه تحية المخلوق كما قدَّم تحية الخالق، فقدِّم هذه التحية وابدأ بأولى الخلق بها وهو النبي ﷺ لشرفه وعظيم حقه عليك، واستشعر قربه منك ولو بعدت بينك وبينه المسافات، واستحضره أمامك ليمتلئ قلبك مهابة له، وليصدق أمَلُك في أنه يبلُغُه سلامك ويردُّه عليك بما هو أوفى منه.

والسلام اسم من أسماء الله الحسنى، وتأويله: لا خلوتَ من الخيرات والبركات، وسلَّمك الله من المكاره وكل ما يوجب الذم، فإذا قلت: «**السلام عليك أيها النبي**» فاقصد به: اللهم اكتب لمحمد في دعوته وأمته السلامة من كل نقص، فتزداد دعوته على الأيام علوا، وأمته كرامة وعزا، وذكره ارتفاعا، وأما الرحمة فهي إيصال كل خير له، وإثابته على كل ما بذل في حقنا وقدَّم.





واستشعر شرف المقام الذي وضعك الله فيه، وكيف لا وأنت تسمع تشريف النبي ﷺ لكل من دخل في قوله:

«**ما من أحد يُسلِّم علي ، إلا ردَّ الله عليَّ روحي حتى أردَّ عليه السلام**»(١).

فتُردُّ إليه روحه ﷺ لكي يرد عليك تحيتك ويجيب سلامك!! فأي أجر وأي فضل وأي فخر أعظم.

فأحضر في قلبك النبي ﷺ وشخصه الكريم، وليصدق أملك في أن سلامك يبلغه، ويرد عليك التحية بأحسن منها.

ثم سلِّم على نفسك، ثم على سائر عباد الله الصالحين، مستصحبًا أهمية الصحبة الصالحة، ومعليًا قيمتها، مع استشعارك أن هذا السلام يعم كل عبد صالح في السماء والأرض، مما يجعل تارك الصلاة والمفرِّط فيه مقصرًا في حق كافة المسلمين، لأنه أضاع حقهم عليه في الدعاء من مضى منهم ومن سيولد إلى يوم القيامة، ولذلك عظمت معصية تارك الصلاة. قال ﷺ:

«**التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنكم إذا قلتم ذلك أصاب كلَّ عبد في السماء والأرض**»(٢).

---

(١) صحيح: رواه أبو داود وأحمد والبيهقي عن أبي هريرة كما في السلسلة الصحيحة رقم: ٢٢٦٦.

(٢) صحيح: رواه أحمد والشيخان عن ابن مسعود كما في صحيح الجامع رقم: ٧٤٠٣، ومناسبة الحديث: عن عبد الله بن مسعود قال: كنا إذا صلينا مع النبي ﷺ قلنا السلام على الله قبل عباده، السلام على جبريل، السلام على ميكائيل، السلام على فلان وفلان، فلما انصرف النبي ﷺ أقبل علينا بوجهه قال: «**لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام، فإذا جلس أحدكم في الصلاة فليقل: التحيات لله والصلوات والطيبات** ..الحديث».



معنى الشهادتين في التحيات

ثم اشهد شهادة الحق التي بُنيت عليها الصلاة، والصلاة حق من حقوقها، ولا تنفعك إلا بقرينتها وهي الشهادة للرسول ﷺ بالرسالة، وخُتِمت بها الصلاة كما قال **عبد الله بن مسعود** ﷺ: «فإذا قلت ذلك فقد قضيت صلاتك، فإن شئت فقم، وإن شئت فاجلس».

وهذا إما أن يحمل على انقضائها إذا فرغ منه حقيقة كما يقوله الكوفيون، أو على مقاربة انقضائها ومشارفته كما يقول أهل الحجاز وغيرهم، وعلى التقديرين فجعلت شهادة الحق خاتمة الصلاة؛ كما شرع أن تكون هي خاتمة الحياة لأن «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»، وكذلك شُرع للمتوضئ أن يختتم وضوءه بالشهادتين، ثم لما قضى صلاته أذن له أن يسأل حاجته.

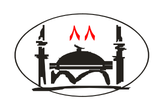
وارفع السبابة وأنت تتشهد، واستشعر بذلك أنك تختم صلاتك بخنق شيطانك وعصر أضلاعه وقهره بسبابة التوحيد، فقد كان **عبد الله بن عمر** ﷺ إذا جلس في الصلاة وضع يديه على ركبتيه وأشار بأصبعه وأتبعها بصره، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «**لهي أشد على الشيطان من الحديد**»[1]، يعني السبابة.

الصلاة على النبي ﷺ وآله

ثم استمر في هجومك على شيطانك وإلحاق الأذى به عن طريق ذكر اسم أكثر الخلق إغاظة له وانتصارا عليه، وهو رسول الله ﷺ، فتوسل إلى الله بالصلاة

(١) صحيح: رواه أحمد عن عبد الله بن عمر كما في مشكاة المصابيح ١/ ٢٠٠.





على النبي ﷺ، فإنها من أعظم الوسائل بين يدي الدعاء، وخير تمهيد لإجابته، وقد جُعِل الدعاء آخر الصلاة كخير ختام.

وصلِّ على آل **محمد** لكي تقر عين نبيك ﷺ بإكرام أهله والصلاة عليهم، كما صليت على **إبراهيم** وعلى آل **إبراهيم**، والأنبياء كلهم بعد **إبراهيم** هم من آل **إبراهيم**، لذلك كان المطلوب لرسول الله ﷺ صلاة مثل الصلاة على **إبراهيم** وعلى جميع الأنبياء بعد إبراهيم وعلى آلهم وأتباعهم المؤمنين، ولهذا كانت هذه الصيغة من الصلاة أكمل وأفضل ما يُصلَّى به على النبي ﷺ.

وجاءت التحيات على ذلك، أولها حمدٌ لله، والثناء عليه، ثم الصلاة على رسوله، ثم الدعاء آخر الصلاة بقوله:

«**وبارك على محمد**» أي أدِم وثبِّت ما أعطيته له من التشريف والكرامة، وأصله من برك البعير إذا ناخ في موضعه ولزمه، وتُطلق البركة على الزيادة، ومعناها في الأصح أي بارك في رسالته التي جاء بها، فهو وإن فارقنا بروحه إلا أن تعاليمه خالدة، وبركتها: عمومها وانتشارها.

«**وآل محمد**» هم كل من اقتفى الأثر ونهل من النبع، ومعنى البركة هنا نأخذه من شيخ الإسلام **سفيان بن عيينة** في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا**﴾. قال رحمه الله:

«مُعلِّما للخير، وهذا يدل على أن تعليم الرجل الخير هو البركة التي جعلها الله فيه، فإن البركة حصول الخير ونماؤه ودوامه، وهذا في الحقيقة ليس إلا في العلم الموروث عن الأنبياء وتعليمه».

وهو نفس تفسير **وهيب بن الورد** الذي قال: « ﴿**وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا**﴾ أي كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر».



فهل نلت من هذا العلم وتعليمه شيئًا؟! وهل دعوت غيرك إلى الخير؟! وهل دللت على الحق أم سكتَّ وتواريت؟! هل نالك من بركة هذا الدعاء شيء أم لم يسمعه الله منك من الأساس؟! راجع نفسك وفكِّر جيدا قبل أن تسلِّم لتنطلق بعد التسليم هاديًا وإلى الله داعيًا آمرًا ناهيًا.

لأول مرة: **أحس أن لي دورًا لم أقم به، وفريضة قصَّرت فيها، ورسالة نسيتها، ودعاء دعوت الله به منذ زمن دون أن أعرف معناه أو أصل إلى مبتغاه، وهو أن أدعو إلى الله وأحث الناس على الخير وأُخرج من استطعت من الظلمات إلى النور، ومن بعد هذه الصلاة سأفكِّر فوريًا وجديًا في دوري مع أهل بيتي أولاً، ثم دوري مع جار المسكن والعمل؛ لتنالني البركة التي دعوت بها.**

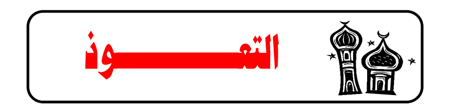
إنـك حميـد

«**حميـد**»: أي محمود مستحق لجميع المحامد على ذاته وصفاته وفعاله، بل لا يستحق الحمد إلا هو، وهو كذلك محمود على كل الأحوال، في السراء والضراء والشدة والرخاء؛ لأنه حكيم لا يجري في أفعاله غلط، ولا يعتريه الخطأ.

وحميد أيضا بمعنى حامد لذاته وأوليائه، أو بمعنى أنه الذي أجرى الحمد على لسان خلقه، ومن فضله العظيم وكرمه العميم أن نسب الحمد إليهم وإن كان الحمد من أعظم نعمه عليهم.

«**مجيـد**»: وهو المتصف بالمجد، والمجد هو كمال الشرف والكرم والرفعة والصفات، وإذا قارن شرفُ الذات حُسْنَ الفعال سُمِّي مجدًا، والمجيد هو من تَمَجَّد بفعاله، ومجَّده خلقه لعظمته.





التعـــــوذ

ثم استعذ بالله من مجامع الشر كله امتثالاً لوصية حبيبك ﷺ الذي كان يعلِّم أصحابه هذا الدعاء بعد الفراغ من التشهد:

«**إذا تشهَّد أحدكـم فليتعوَّذ من أربع: من عذاب جهنم، وعذاب القبر، وفتنة المحيا والمات، ومن شر المسيح الدجال، ثم يدعو لنفسه بما بدا له**»(١).

والشر كل الشر في عذاب الآخرة وهو نوعان: عذاب القبر، وعذاب النار، أما أسبابه المؤدية إليه فهي الفتنة، وهي كذلك نوعان: كبرى وصغرى، فالكبرى هي فتنة الدجال وفتنة الممات، لأن المفتون بهما لا سبيل له ليتدارك نفسه إذا سقط فيهما.

وأما الفتنة الصغرى فهي فتنة الحياة وهي تشمل فتنة الأهل والمال والدنيا، وهي أهون من فتنة الممات والدجال؛ لأن المفتون بها يمكن أن يتدارك نفسه بتوبة.

فإن قلت: ما فائدة تعوُّذه من هذه الأمور التي عصم الله نبيه منها؟ قلت: إنما ذلك لنلتزم خوف الله تعالى على الدوام ولتقتدي به أمته.

فإن قلت: فما فائدة تعوذه والصحابة من فتنة المسيح الدجال مع علمه بأنه سيتأخر عن زمانه وزمان الصحابة بكثير؟! قلت: فائدته أن ينتشر خبره بين الأمة من جيل إلى جيل وجماعة إلى جماعة حتى لا يلتبس على المؤمنين أمره

(١) صحيح: رواه النسائي عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٤٣٢.



عند خروجه، ويتحققوا أمره، ويعرفوا أن جميع دعاويه باطلة كما أخبر بذلك رسـول الله ﷺ.

وهذا الدعاء من العام بعد الخاص لأن عذاب القبر داخل تحت فتنة المات، وفتنة الدجال داخلة تحت فتنة المحيا.

وهذا من أوكد أدعية الصلاة حتى أوجب بعض السلف والخلف الإعادة على من لم يدعُ به في التشهد الأخير.

والدعاء الآخر الذي شُرِع لك أن تدعو به بين التشهد والتسليم هو الاستغفار لتختم صلاتك بطلب المغفرة كما بدأتها بطلب المغفرة:

«اللهم اغفر لي ما قدَّمت وما أخَّرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المُقدِّم وأنت المُؤخِّر، لا إله إلا أنت»[(١)].

وأُذِن للمصلي في ختام صلاته أن يتخير من المسألة ما يشاء، وكأنه قيل له: تخير من الدعاء ما تشاء، فقد أديت الحق الذي عليك، وبقي الحق الذي لك.

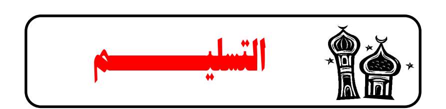
والدعاء في هذا المحل قبل السلام أفضل من الدعاء بعد السلام، وأنفع للداعي، لأن المصلي قبل سلامه في محل المناجاة والقربة بين يدي ربه، فسؤاله في هذه الحال أقرب إلى الإجابة من سؤاله بعد انصرافه من بين يديه.



لأول مرة: أعرف قيمة كنز الدعاء بعد التشهد، فأدعو الله بحاجتي عندها، وأتضرع إليه بما أرجوه بعد أن عرفت فضل الدعاء في هذا المقام، لذا ادَّخرت أهم الدعوات وأغلى الأمنيات لهذا الوقت المبارك.

---

(١) رواه مسلم ١/ ٥٣٤.



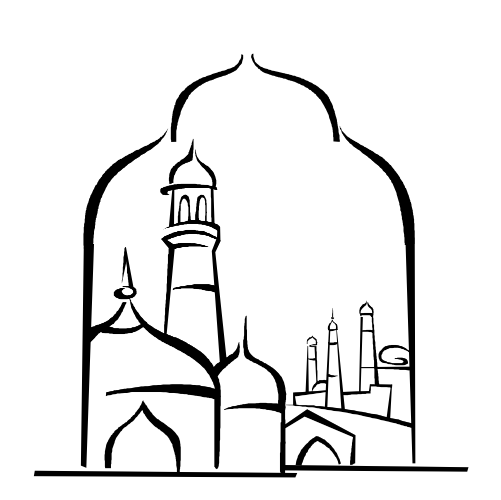
وانوِ بالتسليم التحلل من الصلاة كما تتحلل بالحلق من الإحرام، واقصد به إذا كنت إمامًا الدعاء لمن وراءك بالسلامة التي هي أصل الخير وأساسه، فشُرِع لمن وراءك أن يتحلل بمثل ما تحللت به، وفي ذلك دعاء لك وللمصلين معك بالسلام، ثم شُرِع ذلك لكل مصلٍّ وإن كان منفردًا، فليس أحسن من هذا التحلل المتضمن الإحسان إلى إخوانك المؤمنين.

واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين، وانوِ به ختم الصلاة، واستشعر شكر الله سبحانه على توفيقه لإتمام هذه الطاعة، وتوهَّم أنك مودع لصلاتك هذه، وأنك ربما لا تعيش لمثلها، ثم أذق قلبك الوجل والحياء من التقصير في الصلاة، وخفْ أن تُردَّ عليك، واخش من عدم القبول رغم أخذك بكل أسباب القبول، فربما كنت ممقوتًا بذنب ظاهر أو باطن وأنت لا تعلم، فتُردُّ صلاتك في وجهك، ويذهب تعبك أدراج الرياح.

واستشعر بقلبك الحزن لانصرافك من بين يدي الله إلى أشغال الدنيا والعلائق والشواغل التي استرحت منها ساعة وقوفك لربك؛ وقد ذاق قلبك ويلاتها قبل دخولك إلى الصلاة، حتى عاين لذة القرب ونعيم الإقبال على الله، واذكر معافاتك منها مدة الصلاة، ثم استشعر أنك راجع إليها بتسليمك، لذا احمل همَّ انقضاء الصلاة واحزن لفراقها، فإنك تنصرف من مناجاة من كل سعادتك في مناجاته، إلى مناجاة من كل الأذى والهم والغم والنكد في مناجاته.

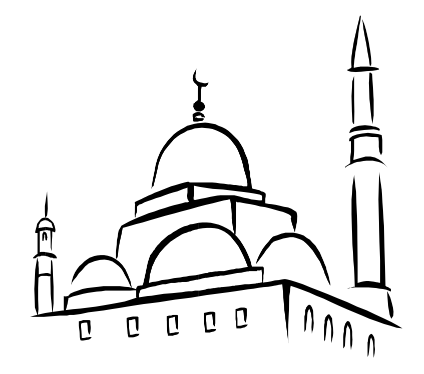


ولن يشعر بذلك إلا من كان قلبه حيًا معمورًا بالإيمان، عالمًا بما في مناجاة الخلق ومخالطتهم من الأذى والنكد، وضيق الصدر وظلمة القلب، وفوات الحسنات، واكتساب السيئات، وتشتيت الذهن عن مناجاة الله تعالى عز وجل، وأما الأموات فهيهات هيهات أن يفهموا هذه الكلمات أو يعرفوا طعم العذب الفرات.





وأخيرًا.. ثمرة الصلاة



كما أن ثمرة الصوم تطهير النفس، وثمرة الزكاة تطهير المال، وثمرة الحج وجوب المغفرة، وثمرة الجهاد تسليم النفس إلى الله، وقد اشتراها سبحانه من العباد، وجعل الجنة ثمنها؛ فالصلاة كذلك ثمرتها الإقبال على الله، وإقبال الله سبحانه على العبد، فالإقبال على الله هو مفتاح الانتفاع بالصلاة كما أنه ثمرة من ثمرات الصلاة.

ولهذا لم يقل النبي ﷺ: جعلت قرة عيني في الصوم ولا في الحج والعمرة ولا في شيء من هذه الأعمال، وإنما قال: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**»[(١)].

وتأمل قوله ﷺ: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**» ولم يقل: «**بالصلاة**»، إعلامًا منه بأن عينه لا تقر إلا بدخوله في الصلاة كما تقر عين المحب بملامسته لمحبوبه، وتقر عين الخائف بدخوله في محل أنسه وأمنه، فقرة العين بالدخول في الشيء أتم وأكمل مِن قرة العين به قبل أن الدخول فيه.

ولما أراد النبي ﷺ الخلود إلى راحة قلبه من حزنه وألمه وراحة جسده من تعبه ونصبه قال: «**يا بلال! أقم الصلاة .. أرحنا بها**»[(٢)].

---

(١) صحيح: رواه أحمد والنسائي عن أنس كما في صحيح الجامع رقم: ٣١٢٤.
(٢) صحيح: رواه أحمد وأبوداود عن رجل كما في صحيح الجامع رقم: ٧٨٩٢.



وأما من لغا في الكلام وارتكب الآثام وشبع حتى صار بطنه كبطن الدُّب من الحرام، فمن أين يأتيه الخشوع والراحة؟! وهذا حال أكثر الناس اليوم: يتعاطى أحدهم أسباب قسوة القلب واحدا تلو الآخر، ثم يقوم للصلاة يطلب المعجزات وينتظر الفتوحات، وجوارحه .. آه من جوارحه .. كل جارحة في بلد أو حـارة، أما قلبـه فقـد مـات.





موجز الأسرار

هام وعاجل: وهو بمثابة ورد محاسبة نوعي تقيس به مقدار خشوعك في صلاتك، فتستدرك إن كنتَ قد قصَّرت، وتشكر إن كنت قد وُفِّقت فخشعت، وتستطيع به أن ترى صلاتك بوضوح في مرآة الحق، وتزن تقوى قلبك بدقة باستخدام ميزان الخير.

وهذا الموجز هو خلاصة الكتاب وعصارة الصفحات، فإن استطعت أن تنقش معانيه على كفِّك لتحفظها، أو تعلِّقه في غرفة نومك لتذكِّر به نفسك قبل كل منام فافعل، ثم استرجع معانيه قبل أي صلاة، وحاسب نفسك كل ليلة على تحقيق هذه المعاني ، وهي كما يلي:

في الوضوء:

- لا تنس دعاء الفراغ من الوضوء.
- صلِّ بعد الوضوء ركعتين إن استطعت.
- استحضر بقلبك نية الطهارات الثلاثة: من الشرك والذنب والدنس.

في المشي إلى المسجد:

- انو بمشيك إلى المسجد أنك عائد إلى الله لتصالحه في بيته.

في التكبير:

- جدِّد صدقك وفرِّغ قلبك مما سوى الله.
- اطرد الكبر أو شبهة الكبر من قلبك.



- اقصد إجلال الله وتعظيمه بالقلب واللسان.

في دعاء الاستفتاح:

- استفتاح التعظيم: املأ منه صدرك بعظمة الرب سبحانه.
- استفتاح المغفرة: انو به تجديد توبتك وأثبت لله صدق توبتك عمليا بعد الفراغ من الصلاة.

في الاستعـــــاذة:

- اقصد الاستعانة بركن الله الشديد وسلطانه العظيم على أعدى أعدائك، والاحتماء بالله واللجوء إليه.

في الفاتحـــــــة:

- قف عند رأس كل آية وانتظر جواب الله عليك.
- حقِّق الحمد بلسانك وجوارحك.
- تأمل في مظاهر رحمة الله لتصل إلى حبه.
- توهَّم حالك يوم الدين.
- اقصد الهدايات السبع عند قولك: ﴿  ﴾.
- اعزم على السير على الصراط المستقيم بمراتبه الستة.
- راجع نفسك أن تكون ممن عرف الحق ثم حاد عنه فتكون من المغضوب عليهم، أو ممن ضل طريقه إليه فتكون من الضالين.

في التأميـــــــن:

- تفاءل بالإجابة وأيقن بها.
- انوِ أن يوافق تأمينك تأمين الملائكة ليُغفر لك.
- ارفع به صوتك لأنه شعار الإسلام ويغيظ يهود.

في الركـــــــــوع:

- اقصد تعظيم الله وحده.
- أخرج من قلبك أي تعظيم لأحد سواه.
- راجع نفسك في خضوع كل جوارحك لله بلا استثناء، وكل أحوالك بلا استثناء، وكل أوقاتك بلا استثناء.
- احذر الخضوع الموسمي المؤقت، وراجع نفسك لعلك ساقط في براثنه وأنت لا تشعـر.

في القيام من الركوع:

- جدِّد إرسال رسائل الحمد اللامتناهي إلى الله.
- أيقن بتفرد الله بالمنع والعطاء.
- انوِ غفران الذنب إذا وافق حمدك حمد الملائكة.

في السجـــــــود:

- تحقق بالفقر والذل.
- البس ثوب العزة والغنى بالله.
- تلذذ بالقرب من ربك.
- أسقط ذنوبك وأوزارك من على عاتقك.
- اقتنص فرصة الدعاء في السجود.
- لا تنس عبودية المراغمة.

في الجلوس بين السجدتين:

- اقصـد طلـب المغفـرة في استغاثـة وتضـرع، يساعـدك على هذا: هيئة الجثـو على الركـب.



- استحضر شدة حاجتك إلى الدعاء الجامع المأثور بأن يغفر الله لك ويرحمك ويعافيك ويهديك ويرزقك.

في التشهـــد:

- اقصد بها وداع الصلاة.
- سلِّم على النبي ﷺ واستحضره أمامك يرد عليك.
- استشعر أهمية الأخوة العامة مع جموع المؤمنين، والأخوة الخاصة مع الصحبة الصالحة.
- جدِّد توحيدك بالشهادتين.
- راجع نفسك في قيامك بواجبك في الدعوة إلى الله.

في التسليـــم:

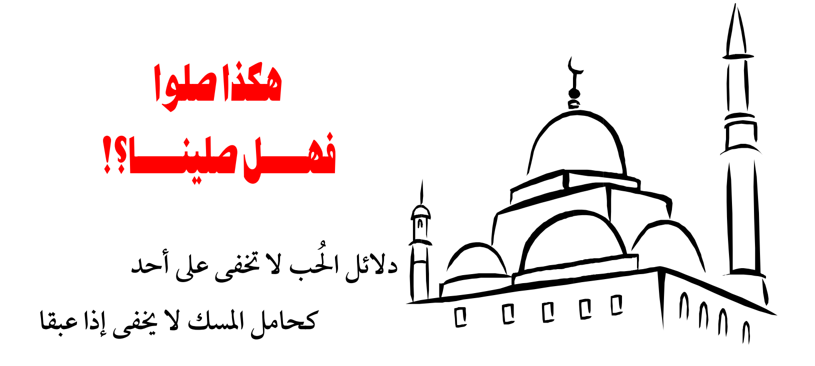
- استشعر لوعة الفراق وألم العذاب بالرجوع إلى هموم الدنيا وأكدارها.
- انوِ بالتسليم السلام على الملائكة والحاضرين.

وأخيـرًا .. ومع كل ما سبــق .. إيــاك أن تنــس المفاتيــح[1] ..



(١) مفاتيح الحلاوة في صفحة (٥).





دلائل الحُب لا تخفى على أحد
كحامل المسك لا يخفى إذا عبقا

ومـن سـير المحبـين اخـترت لك:

- عن **ابن المنكدر** قال: لو رأيت **ابن الزبير** يصلي كأنه غصن شجرة تصفقها الريح والمنجنيق يقع هاهنا وهاهنا، وعن **مجاهد** قال: كان **ابن الزبير** إذا قام في الصلاة كأنه عود من الخشوع، وعن **يحيى بن وثاب** أن **ابن الزبير** كان يسجد حتى تنزل العصافير على ظهره ولا تحسبه إلا جذع حائط.
- كان **مسلمة بن يسار** في المسجد فانهدمت طائفة من المسجد، فقام الناس ولم يشعر أن اسطوانة المسجد قد انهدمت**!!**
- وهذا **يعقوب الحضرمي** لم يُر في زمانه مثله، بلغ من زهده أنه سُرق رداؤه عن كتفه وهو في الصلاة، ورُد إليه ولم يشعر.
- وقع حريق في بيت **علي بن الحسين** وهو ساجد، فجعلوا يقولون: يا ابن رسول الله النار.. النار، فما رفع رأسه حتى أُطفئت، فقيل له في ذلك فقال: «ألهتني عنها النار الأخرى».
- وكان **مسلـم بن يسـار** يقول لأهله إذا دخل في صلاته: «تحدثـوا فلست أسمـع حديثكـم».
- وهذا **محمد بن إسماعيل البخاري** خرج مع قوم إلى حائط مزرعة، فقام يصلي بالناس الظهر، فلما فرغ قام يتطوع، فلما فرغ من تطوعه رفع ثوبه وقال



لبعض من معه: انظروا هل ترون تحت قميصي شيئا؟ فإذا زنبور قد أبَّره في ستة عشر، أو سبعة عشر موضعا، وتورَّم ذلك من جسده، فقال بعض القوم: كيف لم تخرج من الصلاة في أول ذلك؟ قال: كنت في سورة فأحببت أن أتمها!!

- وهذا **محمد بن يعقوب الأخرم** يقول: ما رأينا أحسن صلاة من صلاة **محمد بن نصر المروزي**، كان الذباب يقع على بدنه – يعني الزنبور – ولا يذبه عن نفسه، ولقد كنا نتعجب من حسن صلاته وخشوعه وهيبته للصلاة، كان يضع ذقنه على صدره، فينتصب كأنه خشبة مسنودة.
- وكان **الربيع بن خثيم** يقول: ما دخلت في صلاة قط فأهمني فيها إلا ما أقول وما يُقال لي.
- وقيل يوما **لعامر بن عبد الله**: هل تُحدِّثك نفسك في الصلاة بشيء؟ قال: نعم، بوقوفي بين يدي الله، ومنصرفي إلى إحدى الدارين؛ الجنة أو النار. قيل: فهل تجد شيئًا مما نجد من أمور الدنيا؟! فقال: لأن تختلف الأسنة فيَّ أحب إلي من ذلك.
- وعن **الحسن بن عمرو الفزاري** قال: حدثني مولى **لعمرو بن عتبة** قال: كنا نخرج الى العدو فلا نتحارس لكثرة صلاته، ورأيته ليلة يصلي فسمعنا زئير الأسد فهربنا وهو قائم يصلي لم ينصرف، فقلنا له: أما خفت الأسد؟! فقال: إني لأستحي من الله أن أخاف شيئـًا سـواه.





ليريـــنَّ الله ما أصنـــع!!

ليكن هذا شعارك وأنت تودِّع آخر صفحة من صفحات الكتاب، وقـل لنفسـك وخاطبهـا بلسانـك وقلبك: سأخرج من هذا الكتاب والصلاة عندي: قلب يتأثـر.. وروح ترقى.. ونفس تتقوى.. وعزم يتبدَّى، وسأبدأ من اللحظـة.

واعلم أن كل يوم يمضي عليك دون أن تضع الكتاب موضع التنفيذ يجعل فرصة العمل به أصعب، والتلذذ بمعانيه أقرب إلى المستحيل، فبادر بادر .. وإياك ورأس مال الكسالى والعاجزين من التسويف والتمني، وأدرك عمرك أن يضيع، فكل يوم يمر من أيامك هو من رأس مالك ويقرِّبك من مآلك.

والناس في قراءة أي كتاب أنواع، فمنهم البصير، ومنهم الأعور، ومنهم الأعمى، ومنهم الأعمش، وهي أوصاف البصائر لا الأبصار، والضمائر لا المظاهر.

والمحروم كل الحرمان منهم من خرج من القراءة وقد عرف الطريق لكن لم يمش فيه، إما لأنه أُغلق في وجهه الباب فما نالته رحمة الوهاب، وإما لأنه قرأ الكتاب في عجالة دون تدبُّر فخرجت المعاني من حيث دخلت دون أن يبقى في القلب منها شيء، فهل أنت منهم؟!



أخي .. ألا تخشع حتى يخشع الكافر؟!! لكنه للأسف .. الخشوع الذي لا قيمة له والذلة التي لا تنفع صاحبها، وذلك يوم القيامة حين يقف الكفار أمام الجبار ﴿ **خَـٰشِعَة أَبۡصَـٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٌ** ﴾ [القلم:٤٣].

لكن الأمل باق ما بقيت فيك الحياة، والأمر كما وصفه **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه حين قال متفائلا مستبشرا: «بقية عمر المرء ما لها ثمن؛ يُدرِك فيها ما فات، ويحيي ما أمات».

وتجربتي مع هذا الكتاب أنه كلما قُرِئ استقرت معانيه في القلب، وأُصيبت أهدافه ودنا جناه، فاقرأه مرة بعد مرة ليتم لك مرادك ويتضاعف حصادك ويتحقق مرادك كلما قرأت وأعدت.

وهذه الإعادة ستجعل المعاني أكثر استقرارا في القلب، وأسهل استجلابا في الصلاة، وستهدم السدَّ الذي أقامه الشيطان بين عقلك وقلبك ليخشع القلب بعد أن وعى العقل.

واحتفظ بنسخة دائمة منه في مكتبتك لا تفرِّط بها مهما حدث، لترجع إليها كلما دبَّ إلى صلاتك الفتور وزار قلبك الوهن.

والآن .. ضعوا يديكم في يدي، ولنجدِّد العهد مع الله من جديد على أن نصلي له كما يريد، وأن نلبي دعوة هذا الكتاب لإنقاذ صلاتكم، ولنحوِّل حروف هذا الكتاب إلى شهود لنا يوم الحساب، ولتخرج كلماته من شرنقة الصفحات لتحلِّق في أجواء السماوات، ولتتحول العبارات من كتل هامدة بين السطور إلى

قوة دافعة وطاقة وثابة؛ تهوي بقلوبنا إلى محراب الصلاة لنرتوي ونرتقي، ومع الأحبة في بيوت الله نلتقي، وعندها فحسب ندرك ونصيب هدف الصلاة بحق ونحقِّق مقصودها.

كتبه حامـدًا تائـبًا
الفقير إلى عفو ربـه وصفحـه

د. خالد أبو شادي

بيَّـض الله وجهــه ووقــاه	**حسْـرة الفَـوْت يــوم أن يلقـاه**
أسكن الله مــن قــال آمــين	**جنـةَ الفردوس واستجاب دعاه**



المحتويات


تم بحمد الله





أولاً: الكتب:

١) **شباب جنان (كتاب + كتيبات متفرقة: سلامة قلبك - غرامة تأخير - أحلى صحبة - نقطة رجوع):**

سلسلة تستهدف الشباب، فالشباب بذرة غالية منحها الله لكم يا شباب، وترك لكم أن تختاروا الأرض التي تبذرون فيها:

إما الأرض الطيبة وهي بيئة الخير على أن ترعوها وتتعاهدوها بغيث الإيمان وزاد الخير، وتحموها من الآفات والمهلكات، وإما أن ترموا بها في أرض بور هي صحبة الشر؛ حيث لا ماء يروي القلب ولا هواء ينعشه ويغذِّيه.

والثمرة الأكيدة: شجرة ساقها من ذهب في الجنة تستظلون تحتها، أو شجرة زقوم ملتهبة في جهنم تُعذَّبون بها، ولكم وحدكم مطلق الاختيار.

٢) **معاً نصنع الفجر القادم:**

كتاب يبث الأمل في القلوب ويبشِّر بحتمية الانتصار عن طريق إشاعة: خماسية الألم، وخماسية الأمل، وخماسية السُّنن، وخماسية العمل، وخماسية الهمم.

٣) **رُدَّ إليَّ روحي (بجزءيه: بأي قلب نلقاه وجرعات الدواء):**

موسوعة قلبية شاملة موضوعها القلوب، وتتناول قصة قلب أصيب بأمراض خطيرة أوشك معها على الهلاك، فأُدخِل العناية المركزة الإيمانية، وهناك امتنع عن كثير من آفات عديدة كانت سبب مرضه، ثم تلقى جرعات دواء مكثفة قارب معها على الشفاء، لكنه تعرض لانتكاسة مفاجئة أنقِذ منها في آخر لحظة، ثم واظب على العلاج حتى أتم الشفاء، وأنهى فترة النقاهة، ثم خرج بفضل الله أقوى وأفضل مما كان، يُداوي ويشفي بإذن الله غيره بعدما تداوى وشُفِي.



٤) **هبي يا ريح الإيمان** (**كتاب** + **كتيبات متفرقة**):

كتاب يحوي عشر نسمات تهدف إلى زيادة الرصيد الإيماني ودعم الذاتية التعبدية.

٥) **سباق نحو الجنان**:

كتاب يتناول صفات القلوب المتسابقة نحو الآخرة، ورسوم الاشتراك في السباق، مع ذكر الواحات التي تأوي إليها القلوب، والعقبات التي تعترضها، مع وصايا عشر تساعد على البدء فورا في السباق.

٦) **صفقات رابحة** (**كتاب** + **كتيبات متفرقة**):

عشر صفقات تعبِّر عن عشر عبادات متنوعة تتضمن كل صفقة منها: تسهيلات الصفقة أي ما يعينك عليها، وأرباحها وتشمل ثوابها الذي يدفعك إليها، والشروط الجزائية.

٧) **رحلة البحث عن اليقين**:

يتناول معنى اليقين، وكيف غرس النبي  اليقين، والعقبات التي تحول دونه، وتوائم اليقين، وكيف الوصول إليه.

٨) **رحلة المشتاق .. العمرة**:

كتاب جديد في موضوعه يحوي فوائد جمّة ومعاني غزيرة تكشف الأسرار الباطنة للعمرة.

٩) **رحلة المشتاق .. الحج والعمرة**:

كتاب يشمل أسرار العمرة إضافة إلى أسرار من الحج، وهو ضعف كتاب العمرة تقريبا، وفيه قرابة ضعف فوائده.

١٠) **أول مـــــرة أصلـــي**:

وهو هذا الكتاب الذي بين يـديك، وهـي رائعـة مـن روائـع ابـن القـيم، هـذَّبتها وبسطَّتها وشرحتها وأضفت إليها أضعاف معانيها، لتجعـل بـإذن الله لصـلاتك طعـما آخـر ومـذاقا أروع، وسـتحس أنـك لم تكـن تصـلي قبلهـا، فشـتان مـا بـين صلاتك هذا الكتاب وصلاتك بعده، ومن هنا جاء اسم الكتاب، لأنهـا تجربتـي الشخصية معه التي أردت أن أنقلها لـك، ولا أحرمـك منهـا مثقـال ذرة، فأقبـل على حياتك الجديدة في ظل صلاتك اللذيذة الممتلئة بالمعاني الجليلة.

١١) **ونطــق الحجــــاب**:

وهي رسالة تخاطب الأخت المسلمة تعلمها االطريق إلى أفضل حجاب من خلال سردها لثمرات الحجاب المزهرة، وأشواك التبرج المهلكة، ويركِّز الكتاب على الحجاب كسلوك قبل أن يكون زيـًا.

ثانيــاً: الإصـــدارات الموسميـــة:

١٢) **مـن الطــــــــارق**:

هو كتاب يتناول شهر رمضان كزائر عزيز، معه الهدايا الغاليات، والتي تتطلب منا رد الجميل من قيام ودعاء وقرآن.

١٣) **سهـــام الخـير .. عشــر ذي الحجــة**:

يحوي عشر عبادات موزّعة على الأيـام العشرـ مـع التحـدُّث عـن فضـائل هـذه العبادات، مع تمهيد بفضل هذه الأيام.

١٤) **المهاجــرون الجـــدد**:

دروس ثمانيـــة مـــن الهجـــرة مـــن تمثَّلهـــا نـــال أجـــر المهـــاجرين وإن لم يقطـــع الصحـــارى والقفـــار.



١٥) الاعتكاف .. تربيـة الأيـام العشـرة:

يتحدَّث عن مقاصد الاعتكاف العشرة، مع إبراز أفضل عبادات المعتكف، والتعرُّض لسموم الاعتكاف أي محظوراته.

ثالثـاً: قريبـــــــــاً:

١٦) يـا صاحــب الرسالـــة:

كتاب يخاطب من حمل دعوة الإسلام، واحترق قلبه كمدا على حال أمتنا، فأضاء بهمته ما حوله، وفي الكتاب: علامات حمل هذا الهَمِّ النبيل، وكيف يُقدِّم صاحب الرسالة الدعوة في اختياراته من اختيار زوجة وبذل وقت، وكيف يضمن أن لا تفارقه في أي من لحظات حياته، وما هي الحواجز التي تحول بينه وبين هذا الهدف النبيل، وما الذي يجعل الخير ينتفض من بين جوانحه تهيب بالناس أن يهتدوا، ويلتحقوا بالركب المبارك والقافلة التي يقودها سيد الكونين محمد.

١٧) المعركـــة الأخــــيرة:

كتاب يهدف إلى تجسيد عداوة الشيطان لديك إلى عداوة حسية ملموسة، وعلى شكل معركة لأن هذه هي حقيقة العلاقة بينك وبينه، وذلك عن طريق استعراض عداوة الشيطان التاريخية لك، واستعراض أسلحته والأسلحة المضادة لمواجهة كل سلاح من أسلحته، مع وضع خطة تفصيلية خطوة بخطوة للتغلب عليه ودحره ذليلاً صاغرًا.





